

المحتويات

٧

٢٣

٣٩

٤٥

٦٥

٨٥

فصل تمهيدي

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

فصل تمهيدي

مقدمة

المشهد الأول

في غرفة الدكتور غراي (الدكتور غراي - أنا غراي زوجته)

(الوقت ظلام).

(الدكتور جالس أمام مائدة عليها مصباح ودفاتر وأوراق وهو يستعد للكتابة وزوجته واقفة بجانبه يُسراها على كتفه ويمسحها مصباح.)

الدكتور: جودنيت أنا. فإني لاحق بك بعد حين.

أنا: كم قد قلت لي هذا القول ثم بقيت ساهراً أمام هذا المصباح إلى قرب الصباح؟
رفقاً بصحتك يا چون واذكر أنك الطبيب الوحيد في هذه القرية فإذا أصابك مرض فمن
يطيبك ولا طبيب هنا سواك.

الدكتور: جودنيت أنا.

أنا: تعني أن حضوري ثقيل عليك وكلامي غير مقبول لديك؟ فالأمر لك إذًا. أنا ذاهبة
عنك ألا تريد شيئاً؟ (تهم بالذهاب).

الدكتور: كلا. جودنيت.

أنا: (ملتفتة إليه): إكرامًا لخاطري ضع نظارتك على الأقل لئلا تؤذي المطالعة بصرک.

الدكتور: سأضعها.

أنا: شك يو، وحيات عيني لا تطل سهرک. الآن جودنيت.

الدكتور: جودنيت.

(تخرج أنا فيقصد الدكتور المكتبة ويأخذ منها مجلدين ويضعهما على المائدة ويشرع في المطالعة وبعد هنيهة تسمع ضجة تحت النافذة من الخارج.)

المشهد الثاني

الدكتور - عربي - روبرتس

روبرتس (من خارج المسرح): عربي، انزل واقرع هذه النافذة.

عربي: أمرك يا سيدي (العربي يقرع نافذة الدكتور قرعًا) هو. هو.

الدكتور (مسرعًا إلى فتح النافذة): ماذا تريد يا بني؟

روبرتس (بلهفة من الخارج): أين منزل طبيب القرية يا سيدي؟

الدكتور: هنا. فما حاجتك؟

روبرتس: ما أخطأ من هدانا إليه، وأين الطبيب صاحب المنزل؟

الدكتور: هو أمامك. فماذا تريد؟

روبرتس: أريد أن تتفضل بفتح الباب يا سيدي لأننا في حاجة إليك.

الدكتور: أهلاً بك، ولكن انتظر قليلاً.

(يذهب الدكتور ويفتح الباب فيدخل رجل مستور الوجه بوجه صناعي من

الأوجه التي يستعملونها في المساخر.)

المشهد الثالث

الدكتور - روبرتس

الدكتور (متراجعاً إلى الوراء): ما هذا؟

روبرتس: أنصت ولا تخش شراً.

الدكتور: ولكن ...

روبرتس: علام الاستدراك أيها الدكتور، أفكره مساعدة المتألمين إذا لم تعرف

وجوههم.

الدكتور: معاذ الله.

روبرتس: وإذا أرادوا إخفاء أسمائهم كوجوههم.

الدكتور: سيان عندي في صناعتي عرفت وجه الرجل الذي أعالجه أم لم أعرفه إلا ...

روبرتس (قاطعاً حديثه): لا تخف يا سيدي فلا دخل للسياسة في أمرنا. وأقسم

لك بالله على صدق هذا القول. وإنما في المركبة خارجاً شخص على شفا الموت. فهل تأذن

بإدخاله؟

الدكتور: على الرأس والعين.

روبرتس: ألف شكر لك أيها الدكتور الفاضل. أنت متزوج أم عازب؟

الدكتور: علام هذا السؤال؟

روبرتس: لأسألك إذا كانت امرأتك لطيفة وفاضلة مثلك.

الدكتور: مر ما تشاء.

روبرتس: تفضل وادعها لتحضر فإن الشخص المفتقر إلى مساعدتك مفتقر أيضاً

إلى مساعدتها لأنه من جنسها.

الدكتور: وهل هو امرأة ...؟

روبرتس: نعم امرأة، ولكن آه، إنها ملاك في صورة إنسان، حياتي منوطة بحياتها

يا دكتور، فإذا أنقذتها أنقذت نفسيين في آن واحد. ألا تدعو امرأتك ...؟

الدكتور: سأدعوها الساعة.

روبرتس: سيدي (يضع كيس نقود على المائدة) ليس هذا من قبيل الجزاء فإن كل ما في خزانة الملك جورج لا يكافئك على جميل صنعك، ولكنه من قبيل معرفة الجميل.
عرجي (داخلاً مسرعاً): سيدي إن السيدة تناديك بالحاح.
روبرتس (بلهفة): ها أنا ذا (ويخرج مسرعاً).
الدكتور (قارعاً باب غرفة امرأته): أنا. أنا.
أنا (من غرفتها): ما هذه الحركة والضوضاء.
الدكتور: أتانا زائرون يا أنا فأسرعي إلى هنا.

المشهد الرابع

الدكتور - أنا - روبرتس

(تدخل أنا من غرفتها وروبرتس يدخل من الخارج حاملاً كارولين بين يديه.)

أنا (مذعورة من لثام روبرتس): آه ما هذا؟
الدكتور: لا تخافي.

روبرتس (لكارولين بعد أن يضعها على المقعد): ألا تزالين تتألمين.
كارولين (متململة وملتوية كامرأة على وشك الولادة): آه. آه ... ما أشد آلامي.
روبرتس: ويلاه، دكتور.

(يقترّب الدكتور منها ويجس نبضها.)

الدكتور: هذه السيدة حامل يا سيدي وهي على وشك الولادة.
روبرتس: إذا نحن لا نستطيع السفر.
الدكتور: هذا أمر مستحيل (في خلال ذلك تبقى كارولين متوجعة).
كارولين (تخاطب أنا): آه، ألا تعتنين بي يا سيدتي؟
أنا (أخذة بيدها): اعتنائي بأختي أيتها الحبيبة.

فصل تمهيدي

كارولين: آه، ما أطيب قلبك (تسند رأسها على يديها) وما أشد عذابي.
الدكتور: أنا، أخلي للسيدة غرفتك (تخرج أنا).

روبرتس: وأنا أهتم بالخييل والمركبة (يهم بالخروج فتمسك كارولين به).

كارولين: لا تذهب فإن فرائصي ترتعد إذا غبت عني دقيقة واحدة.

روبرتس: ولكن لا بد يا عزيزتي من إفراغ الأمتعة هنا وإخفاء المركبة والخييل.

كارولين (متوجعة دائماً): لا لا فإنني لا أطيق فراقك.

روبرتس: دكتور ... عفواً ... إنني أحجل من تكليفك بهذا الأمر.

الدكتور: على الرأس والعين يا سيدي.

(يخرج الدكتور لتدبير الخييل والمركبة.)

كارولين (متألماً دائماً): يظهر أنهم قوم كرام.

روبرتس: نعم. ولكن لماذا وقفنا في هذا المكان بعد أن كدنا نفوز بالوصول إلى الميناء
حيث أعدنا كل وسائل الهرب.

كارولين: آه من هذا الألم الذي أصابني، ولكن لماذا لا ترفع نقابك عن وجهك يا

روبرتس.

روبرتس: أخاف أن يكون أحد من أهل المنزل قد رأني في لندن يوماً من الأيام.

كارولين: وهل كنت ذا شهرة عظيمة فيها.

روبرتس (مخفياً اضطرابه): نعم ... دعينا من هذا الموضوع الآن.

كارولين: وأبي؟

روبرتس: آه من أبيك.

كارولين: لا تسئ الظن به لأنه يحبني، ولكن ما الذي منعك من مقابله وخطبتي

إليه، آه، آه ... ما أشد ألامي.

(يدخل الدكتور من الباب الخارجي ويستمر سائراً نحو غرفة أنا فيناديه

روبرتس.)

ابن الشعب

روبرتس: دكتور ... اسمع صراخها.

الدكتور: أنا راجع كلمح البصر.

كارولين (ملتوية دائماً): آه، وإن لحق بنا أبي؟

روبرتس: هذا الذي يرعبني.

كارولين (بقوة وحدة): روبرتس إذا وقعت عيني على أبي قبل أن أصير حليلتك مِتُّ

من الخجل والعار.

(يدخل الدكتور وأنا.)

روبرتس: هذا الدكتور.

الدكتور: لقد أعدنا كل شيء.

(يستندان كارولين فتمشي بينهما متثاقلة أما روبرتس فيحاول التخلص منها.)

كارولين: إلى أين؟ قلت لك لا أستطيع فراقك.

روبرتس: ولكن لا بد يا عزيزتي من افتقاد السائق والمركبة، حتى إذا كان أبوكي

لاحقاً بنا لم يهتد إلينا ... ها، هذا صوت مركبة.

(يطل روبرتس من النافذة فلا يرى شيئاً.)

الظلام شديد السواد خارجاً، تجلدي واصبري يا كارولين فإني عائد بعد حين.

كارولين: آه لا تطل غيابك فإني أخشى أن أموت دون أن أراك.

(تخرج كارولين مع الدكتور ويخرج روبرتس لافتقاد السائق والمركبة.)

أنا: لماذا يستر هذا الرجل وجهه بهذا الوجه الصناعي، لا ريب أنه من أكابر لندن

ويخشى أن يعرفه أحد عندنا. أما امرأته فإنها الآن مستقبلة أشد آلام الحياة وأعظم

مسراتها. وأي ألم أشد من ألم الوضع وأية لذة أعظم من لذة البنين؟ فليحفظ الله صغيرها

القادم، دعاء تعيسة أحرمتها الطبيعة هذه اللذة الطاهرة.

روبرتس (عائداً): سيدتي.

أنا: سيدي.

روبرتس: هل تفضلين بذكر اسمك.

أنا: أنا غراي.

روبرتس: مسس غراي لا يخيفك هذا اللثام فإنه يستر وجه رجل كريم.

أنا: أنا أعتقد ذلك يا سيدي.

روبرتس: فاسمحي لي أن أسألك نعمة كنت على عزم التماسها من حضرة قرينك.

أنا: مر بما تريد يا سيدي.

روبرتس: نحن الآن بين أمرين أيتها السيدة ... إما السفر بعد الولادة وإما الإقامة

إلى حين الشفاء التام.

أنا: السفر وهل تفتكر بالسفر والسيدة في هذه الحالة، لا معاذ الله أن أدعك تسير

بها إلا بعد الشفاء التام.

روبرتس: لا أجد كلاماً يعرب عن شكري لك أيتها السيدة ولكن سواء أقمنا أو رحلنا

فإننا لا نستطيع أخذ الولد القادم معنا.

(تصرخ كارولين صراخ الألم من الداخل.)

روبرتس: أه هذا صوتها.

أنا: لا تخف كمل حديثك. ماذا كنت تقول.

روبرتس: كنت أقول إننا لا نستطيع أخذ الولد معنا خوفاً على حياته فهل ترضين

أيتها السيدة الفاضلة أن تحتضنيه إلى أجل ... وتسهيلاً لذلك نرسل لكم في كل عام

أربعة أكياس كهذا الكيس (مشيراً إلى الكيس الذي كان قد وضعه على الطاولة للدكتور)

لتنفقوها على تربيته. فهل فيها الكفاية ...؟

أنا: فوق الكفاية يا سيدي وسأكون للصغير أمّاً ثانية، فإنني فقدت ابني منذ زمن

(متنهدة) وأحب شيء إلي العناية بالأولاد فكن مستريح خاطر يا سيدي.

روبرتس: مثلك فلنكن النساء أيتها السيدة الفاضلة.

أنا: ولكن اسمح لي أن أسألك ما هو الاسم الذي تريد أن يسمى الولد به؟
روبرتس: إذا كان غلامًا فشارل وإذا كان ابنة فكارولين.

أنا: هذا الاسم ... واللقب ...؟

روبرتس: ما اسم هذه القرية ...؟

أنا: قرية «دار لنكتون».

روبرتس: إذا تسمينه شارل أو كارولين دار.

(يسمع صراخ كارولين من الداخل).

ها. هذا صوتها مسس غراي. مسس غراي إني أكاد أفقد عقلي عند ذكر عذابها. آه
إنها نزلت إلي من علو شاهق وتركت من أجلي ثروة وأهلًا ومجدًا. فهل تظنين أن هناك
خطرًا على حياتها.

كارولين (صارخة من الداخل بقوة): روبرتس. روبرتس.

روبرتس (هائمًا على صوتها وهاجمًا للدخول): آه ما أصابها.

(حينئذ يقابله الدكتور في الباب فيتراجع روبرتس إلى الورا قائلًا).

آه ... سيدي، ماذا جرى.

الدكتور: برافو، برافو، بشراك غلام سمين.

روبرتس (هاجمًا عليه ليقبله): أنقذت حياتي وحياتها. آه دعني أبكي.

الدكتور: هل الوقت وقت بكاء؟ اذهب وقبّل امرأتك، آه.

روبرتس: أرشدني إليها.

الدكتور (يدفعه في باب غرفتها): من هنا.

(يخرج روبرتس، ولكن لا يكاد الخروج حتى يقرع الباب الخارجي فينتبه)

(الدكتور لذلك).

الدكتور (لنفسه): من الطارق في هذه الساعة.

دي سيلفا (يقرع الباب أشد من المرة الأولى من الخارج): افتح باسم الملك وإلا كسرنا الباب ودخلنا.

الدكتور: من أنت؟

صوت آخر (من الخارج): نحن رجال الشرطة افتح يا حضرة الدكتور ولا توقع نفسك في شر عظيم.

سيلفا (من الخارج): علام المجاملة يا حضرة الضابط فلنكسر الباب ولندخل.
الدكتور (هاجمًا لفتح الباب): لا، قفوا فقد فتحت لكم.

المشهد الخامس

ضابط بوليس - جنديان - دي سيلفا - الدكتور

سيلفا (داخلًا بغيظ وعنف): أين الدكتور غراي؟
الدكتور: أنا هو.

سيلفا (أخذًا بذراعه): لا أطلبهما إلا منك لأنهما في بيتك.
الدكتور (صارحًا وهو يتخلص منه): هه. عد إلى رشك تعتدي علي في وسط بيتي.
سيلفا: إذاً أجبني على سؤالتي.

الدكتور: ومن أين لك أن تستنطقني؟
سيلفا: اقرأ هذا الأمر الملكي (يدفع إليه أمرًا فيقرأه جهراً).
الدكتور: «أمر لحامل هذا الخط بالقاء القبض على المرأة التي يعينها.»

(ثم يخاطب سيلفا).

الظاهر أنك عظيم النفوذ والجاه حتى استطعت الحصول على أمر كهذا الأمر ضد امرأة من بلاد حرة كبلادنا.

سيلفا: هذا أمر لا يعينك، وإنما يعينك أن تجيب عن أسئلتتي أين الرجل والمرأة اللذان دخلا الليلة إلى بيتك؟ ولا تكذب فقد تحققنا دخولهما إلى هذا المكان.

الدكتور: اضبط كلامك فما اعتدت الكذب لأكذب الآن.
سيلفا (ملقيًا بنفسه على الكرسي): إذاً قم بواجباتك يا حضرة الضابط.
الضابط (مستنطقًا الدكتور): دكتور غراي ... هل دخل إلى منزلك في هذه الليلة
رجل ملثم؟

الدكتور: نعم.
سيلفا (ناهضًا فجأة): أين هما وإلى أين ذهبا؟
الدكتور (بهدوء): أنا منتظر سؤالك يا حضرة الضابط.
الضابط: لا يسعني إلا أن أُعيد عليك سؤال جنابه أين هما؟
الدكتور: هما ... هما ... حيث هما.
سيلفا (صارخًا): قل أين هما ولا تلجئنا إلى استعمال الشدة.
الدكتور (بحق): هما عندي داخلًا، فماذا تريد؟
سيلفا: ماذا أريد ...؟ سأريك ماذا أريد.

(يهم للدخول إلى الداخل فيقف الدكتور في وجهه ويمنعه الدخول).

الدكتور: قف يا رجل فإنني لا أسمح لك بالدخول.
سيلفا (بجنون): ولكنها ابنتي، ابنتي واللئيم خدعها واختطفها.
الدكتور: ابنتك ...! إذاً أسمح لك برؤيتها. ولا أسمح لك بأخذها.
سيلفا: ماذا تقول؟! حذار أيها الرجل ولا تقل قولاً يدل على عصيانك أمر الملك
ورجال القانون.

(مشيرًا للأمر ولرجال البوليس.)

الدكتور (بعظمة): أنا الآن فوق الملك والقانون في هذه المسألة ولذلك أقول لك مرة
أخرى: إنك لا تأخذها وإن كنت أباهما.
سيلفا: ولماذا ...؟

الدكتور: لأنك إذا أخذت الفتاة الآن كنت كمن يتعمد قتلها، فإذا بقيت مصرًا على
عزمك طلبت من رجال القانون بصفتي طبيبًا أن يساعدوني لإنقاذ حياة. أنا الآن وحدي
مسئول عنها أمام الله والناس.

الضابط: ما فهمنا، فصرّح بما في ضميرك يا حضرة الدكتور.
الدكتور: إن الفتاة التي تطلبونها قد وضعت منذ بضع دقائق غلامًا.
سيلفا (بهياج زائد): فلتكن ملونة إذا كنت صادقًا فيما قلته ولكن لا، لا إنك تكذب لتتنقذها، أليس كذلك؟

المشهد السادس

المذكورون - روبرتس

روبرتس (داخلًا): دكتور، دكتور، كارولين وابنها في حاجة إليك (ينظر أباهما) إلهي ...
سيلفا (يقبض روبرتس من طوقه ويجذبه إليه): تعال أيها اللئيم.
روبرتس (منذعرًا): المركز ...
سيلفا: ويلك أيها اللئيم ... أين ابنتي؟
الدكتور: هل يحل في بيتي هذا الاعتداء أيها السادة.
سيلفا: دعني أيها الدكتور ... أجب أيها السافل.
روبرتس: احذر يا سيدي وإلا خفت أن أفقد صبري.
سيلفا: وحينئذ!
روبرتس: حينئذ أنسى أنك أبو كارولين.
سيلفا: وحينئذ!
روبرتس: حينئذ يأخذ كل واحد منا حسامًا ولا يلقيه حتى يسقط أحدنا.
سيلفا: تجترئ على ذكر البراز بفمك يا ابن اللئام؟ لا ريب أن هذا اللثام هو الذي جعلك جريئًا إلى هذا الحد، لقد عرفتك فاقصر يا روبرتس فيلداي.
روبرتس: ويل لي.
سيلفا: فأجبنني إذًا، أين ابنتي؟
روبرتس: داخلًا.

سيلفا: خذني إليها.
روبرتس: رفقاً بها فإن منظرِك يقتلها.
سيلفا: قلت لك خذني إليها.
روبرتس (بقوة وعناد): لا يمكن.
سيلفا: بل أذهب بالرغم عنك.
روبرتس (معتزلاً بقوة): بل لا تدخل أبداً.
سيلفا: ومن يمنعني الدخول.
روبرتس: أنا.
سيلفا: ارجع وإلا ذكرت اسمك.
روبرتس: وأنت ارجع وإلا ذكرت اسمك.
سيلفا: وإن ذكرت اسمي.
روبرتس: حينئذ يقال إن ابنة المريكز دي سيلفا هي زوجة ال...
سيلفا: أنصت.
روبرتس: قلت ذلك لأنها زوجتي وحليلتي أمام الله والناس، والولد الذي وضعته
الآن هو حفيدك أردت أم لم ترد.
سيلفا (هائماً بالدخول): هذا يزيد رغبتني في رؤيتها.
روبرتس (يسد الطريق في وجهه): قلت لك إنه يجب أن لا تراها.
سيلفا: وإن لم أرجع ... أتقتلني؟
روبرتس: أصنع كل شيء حفلاً لها.
سيلفا (صارخاً): كارولين، كارولين.
كارولين (من الداخل): أبتاه ... أبتاه.
روبرتس: ويل لي فقد سمعت صوته.

المشهد السابع

المذكورون – كارولين

(تدخل كارولين منفوشة الشعر والثياب وعليها هيئة المرأة التي هي قائمة من الولادة فتلقي نفسها بارتجاف على أقدام أبيها.)

كارولين: أبي ... أبي.

أنا (لاحقة بها): ماذا تصنعين، ألا تخافين الموت.

كارولين: أه ما أحلى الموت.

روبرتس: هذا ما كنت أخشاه.

الدكتور: كن مطمئناً فإنني لا أفارقها.

سيلفا (إلى كارولين بغضب): انهضي.

كارولين: لا لا، دعني يا أبتى تحت قدميك، دعني أقبلهما واسحقني بهما.

سيلفا: ويلك يا شقية.

كارولين: نعم أنا شقية نعم أنا لثيمة عقوفة. أفرغ كل غضبك علي وحدي لأنه هو

لا ذنب له غير منعي من إطلاعك على حينا.

(هنا تنهضها أنا والدكتور ويجلسانها على كرسي.)

سيلفا: تعترفين أيضاً.

كارولين: وما المانع من الاعتراف بحب رجل كريم فاضل مثله.

سيلفا (بغضب): هو؟

كارولين: نعم هو، نعم هو، إذ لو لم يكن فاضلاً كريماً لما خاطر بحياته لينقذني

من الغرق في نهر التيمس يوم سقطت فيه من زورقي.

سيلفا: كان موتك خيراً من أن ينقذك هذا الرجل.

كارولين: أه، كنت أحسب أنك تحبني ... وكنت أحبه في بدء الأمر حبي لمن أنقذ

حياتي، ولكن رقة عواطفه ودمائة أخلاقه وشرف مبادئه أفقدتني الرشد وأوقعتني في

هذا المصاب، فرحمة يا أبتاه وعفوًا ...

سيلفا: لا أعفو.

كارولين: روبرتس مالك لا تتكلم ... ساعدني بالالتماس والرجاء، اشرح حالنا بطلاقة لسانك فإنه متى عرف ما تقاسيه في منفاك ...

سيلفا (قاطعًا حديثها): في منفاه، ومن قال إنه منفي.

كارولين: هو الذي قال لي ذلك، ومن أجل هذا يستر وجهه دائمًا.

سيلفا: لقد خدعك أيتها الابنة الساذجة.

كارولين: هو يخدعني ... معاذ الله، أجهه يا روبرتس ... قل إنك ما خدعتني، ما لك

لا تتكلم؟

سيلفا: رأيت كيف أنه لا يجسر على الكلام.

كارولين: روبرتس، قل كلمة واحدة فقط.

سيلفا: كفي كفي، هيا واتبعيني.

كارولين: لا أستطيع يا أبتني.

سيلفا: ألي هذا الحد تخافين الموت؟

كارولين: كلا، وإنما أخاف فراقه.

سيلفا: ويل لك ما أتعسك! ألي هذا الحد تحبينه؟

كارولين: آه ... أحبه حب نفسي لجسدي.

سيلفا (بغضب): ولكن هذا الرجل حبه العار والشنار وجحيم النار! تعالي.

كارولين: آه وولدي.

الدكتور: يا لك من أم تعيسة.

سيلفا: الدكتور يربيه.

الدكتور: على الرأس والعين، وأتخذه لي ولدًا.

كارولين (واقفة بقوة): لا لا أفارق ولدي، إن الله يعطي الأم ولدًا لتحنو عليه وتربيه،

لا لتهجره وترميه، فدعني آخذ ولدي.

سيلفا: هذا محال.

كارولين (بقوة): إذا أنا أصرخ، أنا أبكي، أنا أستغيث بكل ذي شهامة ومروءة،

فيسمع كل ذي مروءة صراخي ويغيثني، (متلطفة) أبي دعني آخذ ولدي ولا تحرمني

فلذة كبدي، فإني لم أهنأ بعد برؤيته وتقيله ولم أمسه بعد بيدي.

فصل تمهيدي

سيلفا (إلى رجال البوليس): ساعدوني أيها السادة.
الدكتور (وهم يهمون بحملها): أشفقوا عليها أيها السادة.

(يأتي روبرتس من وراء سيلفا ويضع يده على كتفه.)

روبرتس: دعوا هذه المرأة.

(كارولين تتوسط بينهم.)

كارولين: أبي أبي، حبيبي روبرتس.

سيلفا: حبيبي روبرتس؟ لقد زدت جراءة وزاد اللئيم وقاحة، تعالوا جميعًا وانظروا حبيبها روبرتس (يخطف لثامه عن وجهه) ألق هذا الوجه.

الدكتور (للذين تقدموا لينظروا): لا لا، أيها السادة.

روبرتس (يعيد الوجه إلى وجهه الذي يكون سقط ولا يكون أحد نظر وجهه غير الجمهور): أنصت شفقة على ابنتك.

سيلفا: لقد أصبت، يجب أن لا يعرفك أحد غيرها (يتقدم إلى كارولين) أعرفت هذا الرجل؟

كارولين (بدهشة): كلا.

سيلفا: هو جلال المدينة.

كارولين: آه (صارخة بأعلى صوتها ويغمى عليها وينزل الستار).

الفصل الأول

(نفس المنظر الذي في المقدمة ولكن الأثاث والأشخاص قد مر عليها ٢٦ سنة
فيجب أن يظهر ذلك في هيئة المكان وعمر الأشخاص.)

المشهد الأول

مبراي، الدكتور غراي (يلعبان بالشطرنج أو الطاولة) أنا، چاني (يشتغلون
بشغل يدوي) ريشار (على مائدة يكتب) الدكتور ومبراي يختلفان في لعبة
فيقول الدكتور.

الدكتور: فلنُكِّم ريشار، ريشار ما رأيك في هذه اللعبة.

ريشار: عذرًا يا أبي فما تتبعت لعبكم لاهتمامي بما في يدي.

الدكتور: وما في يديك؟

ريشار: كتابة يجب عليّ الفراغ منها.

الدكتور: بشأن الانتخاب؟

ريشار: نعم يا أبي.

الدكتور: وإلى أي مرشح عزمت أن تعطي صوتك؟

ريشار: لنفسني، وأسألك صوتك وأصوات أصدقائك أيضًا.

الدكتور: أنت.

چاني (بفرح): تريد أن تكون نائبًا؟

ريشار: وما المانع؟

الدكتور: ريشار، أذكر أنك لا تزال شابًا.

ريشار: بيت صار وزيرًا في الثانية والعشرين من عمره.

الدكتور (لمبراي): أما أن أخبره بأنه ليس ولدي؟

مبراي: وما الفائدة من ذلك الآن؟

الدكتور (لمبراي): الحق أقول لك إنه يطيب لي أن أراه جريئًا مقدمًا معتمدًا على

نفسه هذا الاعتماد ... امض في عزمك يا ريشار وجاهد فإن الفوز في هذا العالم للمجاهدين،

وأنت يا صديقي ألا تحضر الانتخاب عندنا في هذا اليوم؟

مبراي: سأحضره ولكن أخشى أن يسألوني عن اسمي وماضي حياتي. وقد قلت لك

غير مرة إنني لا أستطيع إطلاع أحد عليه.

الدكتور: لا بأس فما يسألك أحد شيئًا.

أنا: مسيو مبراي، لا تفارق زوجي اليوم في أثناء الانتخاب فإن الزحام سيكون

شديدًا.

چاني: ولا تفارق ريشار أيضًا.

ريشار (ناظرًا في ساعته): قد أزفت ساعة الانتخاب فهيا بنا يا أبتاه قبل فواته

(يقومون للخروج).

أنا: بحراسة الله ولكن عودوا بسرعة.

چاني: نجح الله مسعك يا ريشار.

(يخرج ريشار مع مبراي والدكتور من غير أن يجاوب چاني أو ينظر إليها

فتبقى چاني مبهوتة مفتكرة.)

الفصل الأول

المشهد الثاني

أنا - چاني

چاني (بنفسها متنهدة): لا سلام، ولا كلام.

أنا: چاني.

چاني (كمن يعود لنفسه): أماه.

أنا: ما هذا الجمود يا بنية.

چاني: أفتكر يا أمي.

أنا: بماذا تفتكرين؟ أراكِ أصبحت كثيرة التأمل والافتكار يا چاني ولا سيما في غياب

ريشار.

چاني: نعم يطيب لي الافتكار في الوحدة والانفراد.

أنا: الوحدة والانفراد؟ إذا أنا لست شيئاً.

چاني (مراجعة نفسها): لا لا أنت؟ أنت أمي ولستِ غريبة عني.

أنا: چاني ... لا تسلمي نفسك إلى هذه التأملات.

چاني: أهي شر يا أماه.

أنا: تكون شرّاً أو خيراً بحسب ماهيتها.

چاني: وهل من المحرم على الابنة أن تفتكر بأخيها؟

أنا: لا بأس بأن تفتكر الابنة بأخيها، ولكن الافتكار بمن تعرف أنه ليس أباها

أمر غير حسن يا چاني، إن ريشار يحسب نفسه أخاك، أما أنتِ فممنذ أدركتِ الفرق

بين العواطف والأموال، أطلعناك على أنه ليس بأخيك لتعامله معاملة الصديق الرفيق لا

معاملة الشقيق.

چاني: ولماذا لم تطلعوا ريشار على ذلك أيضاً.

أنا: قد أصر صديقنا مبراي على كتمان هذا الأمر عنه.

چاني: ولذلك لا يحبني ريشار إلا حب الشقيق.

أنا (بلهجة العتاب): چاني ما هذا الكلام؟ وكيف تريدني أن يحبك إذا؟

چاني: عفوًا، عفوًا يا أماه أريد أن أبكي فهل البكاء شر أيضًا.
أنا: (أخذة بيدها): أمسكي دموعك يا بنية فإن الله يعطي البشر الدموع ليذرفوها في
المصائب الحقيقية لا في الآلام الصغيرة الوهمية، وكل إنسان لا يذهب من هذا العالم قبل
أن يزرع فيه ما أعطاه الله من الدموع.

چاني: إذا لم يأت دور الدمع بعد يا أماه.
أنا: اتركي هذا يا بنية واسليه، تسلي بالرسم فإنك تركتيه منذ مدة.
چاني: لم أنجح فيه.
أنا: والبيانو.

چاني: لقد تعلمت كل القطع التي علمنيها ريشار، أما الباقية فإني أراها في نهاية
الصعوبة.

أنا: آه، إنك تحبينه فوق يحب يا چاني.
چاني: آه أماه، إنك لا تعلمين (تغطي وجهها بيدها).
أنا: ولكنه الجنون يا چاني، تحبينه، وهل تعرفين على الأقل أنه يحبك.
چاني: يحبني حب الأخت لأنه يحسبني أخته.
أنا: چاني وإن بقي ريشار يحبك حب الأخت متى علم أنك لست أخته؟
چاني: كيف ذلك؟

أنا: يا ويلاه! فلنفرض ذلك فماذا تصنعين؟
چاني: الذي أصنعه ... آه حينئذ ...
أنا: ماذا؟

چاني: (بحياء واضطراب): حينئذ ما أحلى الموت.
أنا: ألي هذا الحد يا چاني؟
چاني: الصحيح يا أماه أنني لا أعرف ما أقوله الآن فلا تحاسبيني على كل كلمة
أقولها.

أنا: حسن يا چاني، فتأني وعودي إلى رشدك وها إنني أتركك وحدك لتحاسبني نفسك،
فقط لا تنسي أنني أمك فيجب عليك إطلاعي على كل ما يسرك ويسوؤك.

(تخرج أنا.)

المشهد الثالث

چاني

چاني:

أحَقًا ما تقول الآن أمي
أيحسبني شقيق الروح أختًا
قليل منه حب أخ لأخت
لقد صدقت فليس يحن مثلي
إذا أخذت يدي يده فجسمي
ويبدو عند ذلك ذا جحود
ولست أراه ذا ولع بشيء
دعني الآن سار ولم يسلم
فيا ربي لماذا هُمْتُ فيه

فيا حزني ويا طول اكتائبي
فيا ويلاه من هذا الحساب
وما هو غير ميل وانجذاب
وليس به التبريح ما بي
لذلك في ارتعاش واضطراب
أروح له وأغدو في ارتياب
سوى بسياسة أو بانتخاب
على وذن حتى بالخطاب
أاللهم المبرح والعذاب

(هنا يدخل ريشار بدون أن يراها وهو غضبانا.)

ريشار: ويل لي.

چاني (لنفسها): ما أشد اصفراؤه واضطرابه.

ريشار: لقد سقطت آمالي كلها وفوق ذلك أهانوني بقولهم إنني لست ابن الدكتور

غراي.

چاني (صارخة قليلاً): آه لقد عرف ذلك.

ريشار (ملتفت إليها): أنت هنا يا چاني؟ قولي لي، أما كنت عارفة بأنني لست

أخاك.

چاني: كنت أعرف ذلك يا ريشار.

ريشار: كنت تعرفين ذلك ولم تطلعييني عليه، كلكم كنتم تعرفون ذلك وكنتموه

عني حتى جاءني في أثناء الانتخاب من قال لي: رُح لست بذني اسم ولا ملك لتنوب عن

قوم هم أصحاب أسماء وأملاك، فما هو اسمي يا چاني أتعرفينه؟

چاني: كلا يا ريشار.

ريشار: بل تعرفينه يا چاني، قولي لي اسمي لأذهب إلى أولئك اللئام وأخبرهم بأن لي اسمًا كأسمائهم، وأن لي فوق ذلك ما ليس لهم، وهو عقل يفتكر وقلب يتقد، قولي وإلا وقعت في اليأس وضاعت في ساعة أمانى أيام وأعوام. ولكن ...

چاني (بهياج شديد): ولكن أضيع عقلي قبل أن أضيع آمالي.
ريشار: إذ كيف أستطيع أن أرى ما في هذا الدماغ الملتهب خامدًا (يقرع جبهته) وما في هذا القلب المتحرك جامدًا (يقرع على قلبه) خُلقت لأقود أمة، خُلقت لأكون زعيم شعب يدوي صوته على منبر المجلس في إنكلترا كلها، فويل لأولئك الذين بكلمة واحدة قصوا جناحي غير ناظرين أنه جناح نسر كبير، هل أضيع كل هذه المواهب وأفقد الأمل من الوصول إلى قمة العلا (هنا يدخل خادم).

الخادم: سيدي.

ريشار (بحدة): ماذا تريد؟

الخادم: في الباب رجل يطلب مقابلتك.

ريشار: وهل جاء يعزيني على خيبتى؟

الخادم: إنه يقول، إنه يروم محادثتك في شأن الانتخاب؟

ريشار: أدخله، أدخله، ما أضيّق العيش لولا قسمة الأمل.

المشهد الرابع

ريشار - چاني - تومسون

تومسون: صباح الخير يا مستر ريشار.

ريشار: أهلاً بك يا سيدي، على من وقع الانتخاب؟

تومسون: لم يتم الانتخاب بعد.

ريشار: وكيف ذلك؟

الفصل الأول

تومسون: لقد وقع خلاف شديد بين المنتخبين، لأنهم يطلبون رجلاً جريئاً لمقاومة الوزارة الحاضرة وليس أحد أجراً منك.

ريشار: ولكنك علمت المانع الذي يحول دون انتخابي.

تومسون: اصرف السيدة لتتكلم في ذلك قليلاً.

ريشار (لجاني): چاني، أريحي نفسك من سماع حديثنا السياسي.

چاني (تتأهب للذهاب): لقد فهمت ولكن كن حكيماً (تخرج).

(يأخذ تومسون وريشار كرسيين ويجلسان.)

ريشار: لقد رأيتك يا سيدي بين الجميع شديد الاهتمام بانتخابي مع أنك لا تعرفني، فماذا الذي حملك على ذلك؟

تومسون: معرفتي أنك طامع في العلاء.

ريشار: ومن أين عرفت ذلك؟

تومسون: عرفت ذلك من نفسي لأنني أنا طامع مثلك.

ريشار: أراك حر الأفكار.

تومسون: ولكنني محب للاختصار.

ريشار: وعلى أي شيء تعول في طمعك؟

تومسون: مثلك على الرأس (قارعاً رأسه) وزندى (يقرع يده).

ريشار: ومن أنت؟

تومسون: مثلك لا شيء.

ريشار: وما الذي أحوجك إلي؟

تومسون: أحوجني إليك عجزى عن الارتقاء بنفسى، فإنى ربيت بين الشعب ولي عليه سلطة ولكنى لا أستطيع استعمال هذه السلطة لنفسى، انظر، لقد سعيت فجمعت لك مائة صوت ولو سعيت لنفسى لما نلت غير صوتي.

ريشار: إذًا تتخذني آلة لك.

تومسون: كلا ولكنى أتخذك سيداً لي، كن أنت السفينة الكبرى فأكون أنا زورقاً

صغيراً لك، ولكن لا تنس أن الزورق قد ينقذ في ساعة الغرق كل ركاب السفينة.

ريشار: وإذ رضيت باقتراحك فكيف تكون منزلتك مني؟

تومسون: تكون المتبوع، وأكون التابع.

ريشار: أفصح المقال.

تومسون: إنك الآن تدعى المستر ريشار، فأنا أدعى خادمك تومسون، فإذا أصبحت

غداً «الغني ريشار» صرت «وكيلك تومسون»، وإذا صرت «حاضرة النائب ريشار»

أصبحت «سكرتيرك تومسون»، وإذا صرت «دولة الوزير ريشار» فتومسون يكون حينئذ

ما يشاء مولاه الوزير فإنك كريم ولا شرط على الكريم.

ريشار (ماداً يده): رضيت بشروطك.

تومسون (هازاً يده): فأنا طوع أمرك.

ريشار: ولكن كيف السبيل إلى الفوز بعد الفشل الذي وقعت فيه.

تومسون: تقترن بابنة الدكتور غراي فتصير صهره وترث أملاكه وهكذا تصبح

صاحب اسم وملك.

ريشار: ولكن هذا الأمر يستوجب تأجيلاً.

تومسون: لا تتوَجَّل فهي تكاد تموت شغفاً بك.

ريشار: ومن أين علمت ذلك؟

تومسون: نظرت في عينها والعين مرآة الفؤاد.

ريشار: حسن ... وسأسعى في ذلك عاجلاً.

تومسون: وأنا ذاهب للسعي أيضاً.

ريشار: ألا نتمهل.

تومسون: كلا، فإنه يجب علي العودة إلى حزبنا في ساحة الانتخاب، أستودعك الله

(يخرج).

المشهد الخامس

ريشار - چاني

ريشار: لقد وجدت الرجل الذي كنت محتاجًا إليه عبدًا لا يعرف السيادة هذا الذي كنت أطلبه.

چاني (داخلة): الظاهر أن أخبار زائرِكَ جاءتك كما تريد.

ريشار: ومن أين عرفت ذلك؟ (مغيرًا هيئته وضاحكًا).

چاني: عرفته من وجهك فإني فارقتك منقبضًا والآن أراك منشرح الصدر.

ريشار: سروري لم يأتني به هؤلاء يا چاني وإنما وجدته في داخلي.

چاني: ما فهمت كلامك.

ريشار: چاني، أنا لست ابن الدكتور غراي.

چاني (مازحة): وهل يسرك أن لا تكون ابنًا له أيضًا الولد عقوق؟

ريشار: نعم يسرني أن لا أكون ابنًا للدكتور غراي لأنه يسرني أن لا أكون أخا

چاني.

چاني (منقبضة): ماذا تقول؟

ريشار: أقول ويل لي إذا لم تفهمي كلامي يا چاني.

چاني (بهیئة الجد): مستر ريشار ما فهمت شيئًا.

ريشار: ما هذا الجد يا چاني؟

چاني: وأنت ما هذا الانقلاب يا مستر ريشار؟

ريشار: السر الذي عرفته.

چاني: ولكنك كنت عارفًا بهذا السر حين دخولك إلى هنا ومع ذلك كنت منقبضًا.

ريشار: چاني أعطني يدك، (يأخذها ويقول لنفسه) يدها ترتجف (ينشد):

لما عرفت السر كان الردى	أحب إلي من قعة الفاجع
فخلت آمالي قد ضيعت	وأنت في مأمولي الضائع
حتى أراني القلب أن الهوى	باقٍ وجاني للفتا الجازع

أهواك يا چاني ولم يبق لي غير هواك الملك الشافع

فإذا لم يكن بك يا چاني مثل ما بي، إذا كانت يدك لا ترتجف وهي بين يدي
كما ترتجف الآن، (تهتز چاني من الاضطراب) إذا كان قلبك لا ينبض نبضاً شديداً كما
ينبض الآن.

(يضع يده على قلبها ليتحقق ذلك.)

چاني: دعني، دعني (محاولة التخلص منه).
ريشار: (مستأنفاً كلامه): لأنني عندما كنت أأخذك بين يدي كما أأخذك الآن (يأخذها
بين ذراعيه) كنت لا أجد جبينك ملتهباً كما أشعر به الآن (يضع يده على جبينها).

(فتصرخ چاني وتراجع إلى الوراء قائلة.)

چاني: آه.

ريشار: لو كان ذلك كذلك لتمنيت الموت يا چاني على العذاب في هذه الحياة، أما
الآن فلا موت ولا عذاب، إني أحبك، أحبك يا چاني حباً امتلك نفسي.

چاني: آه ... رحمة ورفقاً.

ريشار: نعم رحمة لي ورفقاً بي يا چاني وأحيي قلبي بكلمة واحدة، قولي ألا

تحبيني؟

چاني: (مضطربة): آه ... لا أستطيع الكلام، أكاد أفقد صوابي.

ريشار: بعيشك يا چاني قولي، ألا تحبيني؟

چاني: هه ... يسألني إذا كنت أحبه.

ريشار: فيا لسعادتي.

ظبي تقنصته من بعد نفرته	فيا سعادة قلبي عاده الأمل
كم قد كتمت هواكم لا أبوح به	والأمر يظهر والأخبار تنتقل
وبت أخفي حنيني والحنين بكم	توهمًا إذ ذاك الجرح يندمل

حتى وثقت بوعد منكم فنما حبي ووجدي وزال الخوف والوجل

والآن يا چاني فكوني على علم بأنني لا أحب الحياة إلا من أجلك وأنني أموت في سبيل حبك وهذه يدي عربوناً على صدق قولي.

يجثو أمامها ويمد يديه ثانية لأخذها بين ذراعيه، فتضطرب چاني وتلتفت
فترى أباهاً قادمًا فتصيح.)

چاني: أبي، أبي (ثم تفر من بين يديه هاربة فيقول ريشار عند ذلك).
ريشار (كمن يتصنع الحب): لقد أحسنت في الفرار وكفتني مؤونة الكلام والاعتذار.

المشهد السادس

الدكتور - مبراي - ريشار

الدكتور: ما هذا يا ريشار؟ ولماذا تركت الانتخاب وعدت كالبرق إلى هنا مع ما كان لك من الأمل في الفوز على مناظريك؟

ريشار: لما عرفت السر كان له وقع الصاعقة على رأسي فأسرعت لألتمس من چاني أن تحسبني أباها على الدوام حتى إذا رضيت بذلك عدت وسألتك أن تبقيني ابناً لك، فهل تحرمني ذلك يا أبتاه؟

الدكتور: ريشار، لا أحرمك شيئاً في إمكاني، إنك لا تزال عزيزاً علي كما كنت، فنادينني دائماً أباك إذا شئت. أمّا طلبك أن تكون ابني فقد فهمت غرضك منه ولكنه يستلزم أمرين الأول رضا چاني.

ريشار: چاني راضية فإنها تحبين وقد قالت لي ذلك الآن.

الدكتور: والثاني رضا أمها.

ريشار: أمها هي أمي فلا أظنها تكره سعادة ولديها.

الدكتور: ريشار، اذهب وابعث لي زوجتي.

ريشار: أمرك يا ...

الدكتور: كمل.

ريشار: يا ...

الدكتور (ضاحكًا): ما لك كمل.

ريشار (ملقيًا نفسه بين يديه): يا أبتاه (يخرج).

المشهد السابع

الدكتور - مبراي

الدكتور: ما رأيك فيما جرى؟

مبراي: رأيي أن هذا الرجل قد أعطي إقدامًا غريبًا، فإنه أخفق هناك فنجح هنا ولا أراه إلا كفؤًا لچاني.

الدكتور: نعم وهذا رأيي أيضًا، وقد كنت عزمت منذ صباه على تزويجه بها ولكنني كنت أراه قليل الاكتراث بها، أما الآن فيسرني أنني كنت مخطئًا.

المشهد الثامن

الدكتور - مبراي - أنا

أنا: بعثت ريشار في طلبي يا سيدي.

الدكتور: نعم أيتها العزيزة فإنني أروم محادثتك في أمر يحلو لك.

أنا: وما هو هذا الأمر؟

الدكتور: أنا، صارت چاني في السابعة عشرة وريشار في السادسة والعشرين.

أنا: أعرف ذلك.

الدكتور: ألا تذكرين أننا قد تزوجنا بهذا السن؟

أنا (بدهشة): تريد زواج ريشار چاني؟

الدكتور: وما المانع من ذلك؟ أما أنت التي اقترحت علي ذلك قديماً!

أنا: كان ذلك في خاطري قديماً، أما الآن فقد عدلت عنه، وهل سمعتني أخطبك

فيه منذ أكثر من خمس سنوات؟

الدكتور: والسبب في ذلك؟

أنا: السبب أن الأيام قد غيرت أخلاق ريشار تغييراً عظيماً فإني تتبعتهما بنظر الأم

وقلب الوالدة.

الدكتور: فما الذي رابك منهما؟

أنا: لم يربني أمر، ولكن ريشار طماع.

الدكتور: تعين أنه شديد الحب للعلا والظماء إلى الرئاسة، وهل تخافين شهوة

الطمع؟

أنا: لا أخافها عليه، فإنها قد تبلغ به إلى قمة المجد، ولكني أخافها على ابنتنا.

الدكتور: ولكن هذا الطمع قد يكون مصدر الفضائل كلها.

أنا: نعم، ولكنه قد يكون أيضاً مصدر الرزائل والجرائم كلها، إن قلب الأم لا

يكذب يا ألبرت، وقلبي يحدثني أن چاني لا تكون سعيدة مع ريشار، فإن الزواج مركبة

فرسها الزوج والزوجة فإذا اختلفا هذان الفرسان قوة وخلقا كأن كان الواحد قوياً

والآخر ضعيفاً، الواحد شرساً والآخر ليناً، الواحد لا يجد راحة ولذة في غير الحممة

والجري السريع الشديد والآخر لا يجدها في غير السير بتأناً وترواً — فماذا يكون حينئذ

مصير المركبة؟ وكذلك چاني وريشار، فإنهما مختلفان خلقاً وذوقاً، وريشار شديد

هائل كالصاعقة يصعق كل صعب يعترض إرادته، محب مثلها للعلا فلا يرضى غير

السحاب مقعداً، وغير الفضاء الواسع مدى، وچاني لطيفة هادئة كبنفسجة ترى رغدها

في الاستتار بين الأعشاب لتنتشر شذاها من غير أن ترفع رأسها، والناس قلما ينظرون إلى

انطباق أخلاق الزوج على أخلاق الزوجة حين إرادة الزواج وذلك شر عظيم يرون نتائج

الوخيمة بعد حين. فهل تريد أنت أن تصنع كباقي الناس؟

الدكتور: أنا، وإذا كان چاني وريشار متحابين؟

أنا: كيف ذلك؟

الدكتور: ذلك أني فاجأت الآن ريشار تحت قدمي چاني فهل تريدين بهذه الأسباب الخيالية التي تعبت بتفصيلها أن تكوني سببًا في تعاسة ولدينا؟

أنا: ولكن من يضمن لنا أن چاني ستكون سعيدة بهذا الزواج؟
الدكتور: ستكون كذلك لأننا لا نفارقها.

أنا: وإن رأى الله أن يأخذنا إليه.

الدكتور: حينئذ يقوم صديقنا مبراي مقامنا ويسهر على راحة چاني بعدنا.
مبراي: نعم، والله شاهد على ما أقول.

أنا: فاصنع إذًا ما تراه حسنًا، أخذ الله بيدك.

الدكتور: بورك فيك يا أعقل النساء وأحسن الأمهات.

المشهد التاسع

الدكتور - مبراي - أنا - ريشار

(ينظر الدكتور فيرى ريشار متلصصًا من وراء الكواليس.)

الدكتور (مازحًا): ههه، ههه، أنت كنت تتصنت على الباب.

ريشار: لا يا أبتى، ولكني استببطأكم.

الدكتور (بجد): ادخل يا ريشار، ادخل (ينادي چاني) چاني، چاني (تدخل چاني).

الدكتور (لچاني بهيئة مزاح وجد): لماذا ترفضين يا چاني أن تكوني زوجة

لريشار؟

چاني (ساترة وجهها): أنا ما قلت ذلك يا أماه.

(يضحك الجميع.)

الدكتور (باسمًا): فأنا إذا قلت الآن لريشار كن زوجًا لچاني ألا ترضين؟

چاني (بحياء): ومتى عصيت لك أمرًا.
الدكتور: قولي إذًا، أتكونين زوجة لريشار، لم يبق لإتمام ذلك غير رضاك.
ريشار: أسمعت يا چاني؟ لم يبق غير رضاك.
چاني: ريشار أنت أدرى بجوابي.

الدكتور (بجد): راح الآن الهزل وجاء الجد، ريشار، اسمع يا بني إني أمام هذا الصديق الحميم (مشيرًا إلى مبراي) الذي هو وحده شاهدًا علينا، وأمام الله الناظر الآن من علاه إلينا، أعطيك أنا وامراتي يد چاني بعد أن أعطتك هي قلبها فليكن لك عليها حقوق الزوج، ولتحل سلطتك محل سلطتنا عليها، ولكن انظر قبل ذلك إلى هذه الدموع التي تترقق في عيني أمها واصغ إلى صوتي المرتجف من تأثري وانفعالي. إن أبًا وأمًا يضعان الآن بين يديك أعز ما لديهما في الوجود، ويمنحانك نفسًا مركبة من نفسيهما، فاجعل هذه النفس سعيدة يا ريشار تحسن إلينا كما أحسنا إليك، وعظامنا تدعو لك من تحت الثرى.

مبراي (أخذًا بذراع ريشار): ريشار إن الله يسمع الآن هذا الكلام.
ريشار: وقلبي يسمعه أيضًا يا سيدي.
أنا: چاني، كوني زوجة سالحة.
چاني: سأقتدي بك يا أماه.

الدكتور (ناظرًا في ساعته): قد حانت ساعة الانتخاب يا ريشار، فهل نسيت؟ إياك أن تشغلك چاني عنه.

ريشار: وهل تريد أن أواظب على سعيي في الحصول على النيابة في مجلس العموم.
الدكتور: كيف لا؟ فإن مستقبلك لم يعد لك وحدك بل صار لچاني أيضًا.
ريشار: فأنا ذاهب إذًا بالسعي والاهتمام، أستودعك الله يا چاني.
الدكتور: تودعها؟! أنت ذاهب إلى الصين؟

ريشار: كلا، ولكن هذه شريعة المحبين (على حدة في نفسه) أف لقد أضعنا الوقت بالكلام الفارغ (بصوت عال) ولكنني قبل المسير أريد لو نأأخذ شاعرًا لحزبي.

(يذهب إلى چاني ويفك شريطة زرقاء مربوطة بوسطها.)

ابن الشعب

ريشار: هذا هو شعارنا، وسأفوز على مناظري إن شاء الله.

وشعاري اتخذته أزرق اللـ ون لسر يدريه آل الذكاء
إنني أبتغي سمواً على الناس جميعاً فاخترت لون السماء

الفصل الثاني

(في ساحة الانتخاب جمهور من الناس في حركة وحديث وضوضاء ويكون بينهم ثلاث أو أربع نساء حاملات أطباقاً عليها شرائط بعضها زرق وهي لحزب ريشار، وبعضها صفر وهي لحزب خصمه، وكل واحدة من البائعات تنادي على بضاعتها، واحدة تقول الأصفر الأصفر، وواحدة تقول الأزرق الأزرق، وفوق الساحة بلكونان مشرفان عليها أو نافذتان.)

المشهد الأول

(يدخل ريشار في وسط حزبه ويكون حوله رجال معلقين بقبعاتهم وعرى ثيابهم الشرائط الزرق التي هي علامة حزبهم، ويكون ثلاثة منهم حاملين أعلاماً مكتوب على أحدها (ليحيى ريشار) وعلى الثاني (ريشار دون سواه) وعلى الثالث (ريشار والإصلاح)، فيلتفت أحد أصحابه إلى ريشار ويقول.)

أحد الأصحاب: هل زرت أصدقاءنا يا مستر ريشار؟
ريشار: نعم وسأنال الأكثرية إن شاء الله، هلموا بنا داخل الحانة أيها السادة.

(ثم يدخلون من جهة مقابلة للجهة التي دخلوا منها ... فيدخل حينئذ ستنسون خصمه في موكب كموكب ريشار وحوله أنصاره وعلى قبعاتهم شرائط صفر وهم حاملون أعلاماً على واحد منهم (ليحيى ستنسون) وعلى

الآخر (ستنسون دون سواه) وعلى الثالث (ستنسون والشرف) فيلتفت أحد أصحابه إليه ويقول.)

أحد الأصحاب: هل زرت أصدقاءنا أيها السيد؟
ستنسون: نعم وسأنال الأكثرية إن شاء الله، ولكن هلموا بنا لنستريح أيها السادة.

ثم يدخلون من المكان الذي دخل منه ريشار إلى داخل الحانة المشرفة على الساحة ويقف ريشار وستنسون كل واحد منهما في بلكون أو نافذة مشرفة على الشعب المجتمع في الساحة، ثم يكون في الساحة مائدة يجلس عليها مأمور الانتخاب من قبل الحكومة ومعه مساعدان وعلى مائدة أخرى صندوق الانتخاب ليضع فيها المنتخبون أوراقهم.)

تومسون (داخلاً): اسمعوا، اسمعوا أيها السادة الإنكليز، فإن أخطب الخطباء وأبلغ البلغاء، السير ريشار يريد الخطابة.

(يصيح بعض حزبه.)

بعض الحزب: هس، هس، اسمعوا ريشار، هس، هس.

(هنا ينصت الشعب قليلاً وعند ذلك يدخل الدكتور غراي ومبراي وچاني وأنا فينتظرون ريشار في البلكون فيشاورون إليه بمناديلهم ويشير إليهم بيده ثم يتأهب للخطابة.)

ريشار: أيها السادة الكرام.

(صراخ حزب الأزرق قائلين.)

حزب الأزرق: برافو، برافو، هس، هس.

(صفير من الحزب الأصفر.)

الفصل الثاني

ريشار: لا شك أن بعضاً منكم يستغرب إقدامي على مزاحمة المستر ستنسون المترع في كرسي النيابة عن هذه المقاطعة في مجلس العموم منذ ٣٥ عاماً، وحقهم أن يستغربوا ذلك ما دامت عائلة دربي تدعي ملكية كراسي البرلمان ادعائها ملكية البلاد.

(حزب الزرق والصفير بعضهم يصرخ: برافو، برافو، تمام، تمام.)

(وبعضهم يقول: لا لا، بس بس، بقى هس.)

ريشار: لا تحاولوا إنكار هذه الحقيقة الثابتة، فإن للمقاطعة سبعة كراسي في مجلس النواب وعائلة دربي تجلس عليها سبعة أرواح شيطانية كأنها جهنم تمثلها الخطايا السبع الأصلية.

(تصفيق عظيم من الزرق واستهجان من الصفير.)

ولكن قد أقل نجمهم وسقط حكمهم، إنني أنا ابن الشعب أخوكم وابنكم أتيت أستنجدكم على أعدائكم.

الزرق: برافو، برافو (تصفيق).

ريشار: فإن ساعدتموني رفعت شأنكم وحفظت حقوقكم.

الزرق: أيوه كده أمال.

ريشار: وأنا أطلب مساعدة الزرق لا الصفير، أيها الصفير تريدون الذهاب فاذهبوا إلى عائلة دربي فإنه لونهم وشعارهم.

الزرق: ههه، ههه (تصفيق).

ريشار: ويا أيها الزرق تريدون رد حقكم المسلوب ومالك المنهوب فامنحوني أصواتكم، انتخبوني نائباً عنكم أكن لكم سيفكم الذي به تضربون وتكونون لي درعي التي بها أنقي، ولا تنسوا أن يد الله مع الجماعة وأن صوت الشعب صوت الله.

أحد الزرق: ههه، برافو برافو، والله عال، كمان يا أخويا، هس، هس.

(عندما يفرغ ريشار من الخطابة يلتفتوا الجميع إلى المستر ستنسون الذي يكون واقفاً في البلكون الثاني.)

ستنسون: يا سكان دار لنكتون (صغير قليل) بياناً لسوء نية هذا الطالب الجديد (صغير وتصفيق) (ويعيد الكلام ثانياً) بياناً لسوء نية هذا الطالب الجديد، لا أوجه أنظاركم إلى ما هو جاري الآن في هذا المكان (أصوات تصرخ فيه).

الصفير: أبويا أخويا.

الزرق: بس دا الكلام الفارغ خبر إيه.

الصفير: هس، هس بس بقى اسمعوا المستر ستنسون كما سمعنا المستر ريشار.

ستنسون: قابلوا بينما كان في الهدو والسكينة في الانتخاب الماضي وبين الجلبة والنزاع في هذا الانتخاب.

(الزرق تضحك ضحكاً شديداً.)

ستنسون: فهل تسمحون لكل رجل ولو كان وضع الشأن أن يكدر صفو هذه المقاطعة.

(استهجان من الزرق وصراخ.)

ستنسون: ومتى صار الناس يستطيعون إهانة عائلة دربي التي هي فخر إنكلترا وزينتها.

الصفير: برافو، برافو (تصفيق).

أحد الزرق: وأية فائدة لنا منها.

ستنسون: قد مضت ثلاثة قرون وأبناء هذه العائلة أسياد هذه البلاد.

أحد الزرق: لا نعرف أسياداً، لا نعرف أسياداً نحن أحرار، نحن أحرار.

(صراخ عظيم وملاكمات بين الصفير والزرق فيهجم الزرق على أعلام الصفير ويرمونها وينقلبون عليهم فيقول حينئذ ستنسون.)

ستنسون (بصوت قوي جداً): عودوا إلى رشدكم أيها الإنكليز، فإن هذا الشاب يخدعكم، أتصدقون أن هذا الفتى يطلب أصواتكم للدفاع عن حقوقكم وعيالكم وأموالكم، بل سلوه قبلاً هل هو نو مال لينوب عن أصحاب الأموال، له عائلة لينوب عن العيال، إنه لقيط لا يُعرف له حسب ولا نسب، وهذا الدكتور غراي الذي يزعم أنه أبوه شاهد حق على ما أقول.

الفصل الثاني

الزرق: أنت الكذاب، أنت اللئيم، أنت اللقيط.

صفير تصفيق قهقهة ثم يظهر الدكتور غراي أنه يريد الكلام فيصغى
(الجميع إليه).

الدكتور: نعم ليس السير ريشار بابني (تصفق الصفر وتضحك فيستاءوا الزرق)
لكنه صهري، زوج ابنتي.

(تصفق الزرق وتضحك فيستاءوا الصفر.)

ستنسون: يعني الدكتور بهذا القول أنه تبناه ولكن هل أعطاه شيئاً من فضائله.
إن هذا الشاب شديد الطمع والكبرياء، وصل إليك وبالكبرياء يخويكم بالكبرياء ...

(هنا يضع صوته بين أصوات الشعب ويظل هو صارخاً والشعب يصرخ
فيقف مأمور الانتخاب ويشير بيديه علامة السكوت فيسكت الجميع ... في
أثناء الخطابة يكون تومسون نصر ريشار مهتماً بجميع أوراق الانتخاب وهو
ينتقل من واحد إلى آخر يحرضهم على انتخاب ريشار والشعب يتناول من
حين إلى حين أوراقاً فيضعها في صندوق الانتخاب الظاهرة أمام الناس.)

مأمور الانتخاب: لقد مضى ربع ساعة ولم يتقدم أحد للاقتراع فبناء على ذلك أعلن
إقفال صندوق الانتخاب لإطلاعكم على النتيجة.

(سكوت عميق، المأمور يعد الأوراق التي تكون في الصندوق هو ومساعداه.)

المأمور (معلناً رسمياً): نتيجة الانتخاب أن المستر ريشار نال ١٤٢ صوتاً والمستر
ستنسون ١٣٧ صوتاً، وبناء عليه أعلن المستر ريشار نائباً عن دار لنكتون.

(هنا تنفجر أصوات الفرخ من صدور الزرق، فيصرخون ويهجمون على
الصفر، فينزلون أعلامهم ويطردونهم، وينزل ريشار إلى المسرح فيحيط به
أصحابه وهو بهيئة الانتصار بعد أن يسلم على الدكتور ومبراي وچاني وأنا
وجميع الحاضرين مصافحة بالأيادي ثم يصبح صاغ بين الحاضرين ويقول.)

أحد الحاضرين: حفلة الكرسي.

غيره: نعم حفلة الكرسي، حفلة الكرسي.

(يخرج بعض الحاضرين ويعودون بكرسي جميل إلى المسرح فيتقدم تومسون من ريشار ويأخذ ذراعه ويقترب به إلى الكرسي وحوله الجمهور ويقول.)

تومسون:

اصعد إلى الكرسي إنك بيننا أولى به يا أعظم الرؤساء

ريشار:

الآن أصعد واثقًا أنني به
هو سلم أرقى عليه إلى الذي
سأنال ما أبغي من العلياء
يرقى إليه معاشر الشرفاء
أيدتموني يا رفاقي فاغنموا
شكر الجميل أبثه وثنائي

الجميع (لحن):

الشكر يا رب العلاء لك لا لنا
إنا كفا أن تكون رئيسنا
إذ كان منك بذاك حسن رضاء
شرفًا فإنك صيرت الأكفاء

ريشار:

قد جاء يوم النصر فلنفرح بما
وأنا عليهم بالمصائب قادم
نلناه من فوز على النبلاء
ويل لهم مني ومن نصرائي

الفصل الثالث

المنظر الأول

(مجلس العمد وراء المسرح لا ينظر منه سوى الرئيس الجالس على كرسي مرتفع في الوسط وذلك من داخل المسرح وحركة وضوء على جانبي الرئيس وراء الستار، وأناس يروحون ويجيئون. أما المسرح فهو بمثابة دهليز لمجلس العموم ويكون فيه مبراي واقفًا ينظر ويتصنت على ما يجري في المجلس من وراء الستائر الحاجبة المجلس عن المسرح.)

المشهد الأول

مبراي

(يتصنت من وراء الستائر وحينئذ يكون ريشار يخطب من وراء الستائر بصوت بعيد بالكاد يكون مسموعًا ولما يفرغ يسمع تصفيق شديد من الداخل وصراخ: برافو برافو من الجميع، فيصفق مبراي أيضًا على سبيل التحمس ثم يلتفت للجمهور قائلاً.)

مبراي: برافو برافو ما أبلغ كلامه وأشد سهامه، أين عينك يا چاني تنظران ما صار إليه زوجك من المنزلة السامية والمقام الرفيع.

حارس (داخلاً مسرعاً): اخرج، اخرج فقد خرج أعضاء المجلس.
مبراي (داساً في يده قطعة من النقود): أخرج وأعيد لك شكري.

(يخرج.)

المشهد الثاني

ريشار - تومسون

ريشار: لماذا طلبت أن تخلو بي؟ هل لديك أخبار عن امرأتي؟
تومسون: وما الذي أخطرهما في بالك، وقد قلت لي إنه قد مضى عليك ثلاثة أشهر ولم تكتب لها حرفاً واحداً.

ريشار: رأيت من وراء هذا الستار وجهاً كوجه مبراي، يطيل النظر إلي.
تومسون: كلا أيها السير ريشار، ما سألتك الخلوّة بك لأحدثك عن امرأتك ولكن عمن صارت أطوع لك من امرأتك.

ريشار: ومن تعني بذلك؟

تومسون: الوزارة الحاضرة.

ريشار (ضاحكاً): ها، لقد خفضوا رءوسهم المتكبرة.

تومسون: لم يخفضوها خفضاً، ولكن يمرغونها بالتراب تحت قدميك.

ريشار: وماذا يريدون؟

تومسون: يطلبون أن تعدل عن مقاومة الوزارة وعن المعارضة في عقد القرض الذي يرومونه.

ريشار: هذا محال، لأنني لا أخون الشعب.

تومسون: كأن فوزك قد أسكر لبك أيها السير ريشار، أنسيت مراتب العلاء؟

ريشار: وماذا أريد أكثر مما أنا فيه؟ فإنني أدير الآن سياسة إنكلترا كلها من منبر هذا المجلس.

الفصل الثالث

تومسون: نعم، ولكنك قد أنفقت ثروة امرأتك كلها تقريبًا لأن مقامك يقتضي نفقات طائلة، وقد مضت على نيابتك ثلاثة أعوام، وبقي أمامك ثلاثة أعوام أخرى فماذا يبقى لك بعد أن تنفق باقي ثروة امرأتك فيها.

ريشار: يبقى لي فقر شريف منزه عن كل وصمة.

تومسون: ولكن الفقر لا ينصر في الانتخاب القادم، وأنت تعلم ما يقتضيه الانتخاب من المال.

ريشار: إن الشعب لا ينسى نصيره.

تومسون: الشعب قصير الذاكرة يا ريشار وقد شبهوه بقلب المرأة تقلبته وهو قادر على الوضع لا الرفع، ولا تنال مراتب العلياء إلا بالملوك والوزراء.

ريشار: والحاصل، من جاء إليك؟

تومسون: جاءني المركيز سيلفا.

ريشار: وما غرضه من بقاء الوزارة؟

تومسون: له علامات خصوصية معها، فإذا سقطت بسبب مقاومتك لها خسر خسارة كبيرة.

ريشار: وما هي شروطه؟

تومسون: ستسمعها من فمه.

ريشار (مجفلاً): ويك يا أبله، وهل قلت له إنني أسمع مثل هذا الكلام؟

تومسون: لو قلت له ذلك لكنت أبله في الحقيقة ولكني سألته أن يلاقيني إلى هنا

لنتحدث على انفراد فادخل أنت إلى هذه الغرفة واسمع منها حديثنا.

ريشار: أحسنت صنعًا، ولكن لا تعده بشيء، فإنني أريد أن أكون حرًا أفعل ما أشاء

وأرفض ما أشاء.

(يستعد للدخول إلى الغرفة فيواجهه مبراي.)

المشهد الثالث

مبراي - ريشار - تومسون

مبراي: يظهر أن حضوري قد أزعجك يا ريشار.
ريشار (يدير له ظهره ويعود عن الغرفة): أخطأت يا مستر مبراي.
مبراي: كان يجب أن أنتظر في منزلك، لأحدثك بالأمر الذي قصدت لندن من أجله. ولكن رغبتني في استماع كلامك في مجلس العموم ساقطني إلى هذا المكان، لقد سمعت الآن خطبتك يا ريشار فقلت في نفسي: إن الدكتور غراي رحمه الله لو رآك بتلك العظمة والسلطة لهذا نفسه بأنه منح إنكلترا رجلاً عظيماً مثلك.
ريشار (يتكلف): أشكر لطفك يا سيدي.

(يكون تومسون قد خرج ليطلب من الحارس أن يستدعي سيلفا ثم يدخل.)

تومسون (هامساً في أذن ريشار): الرجل ينتظر خارجاً.
ريشار: فلينتظر.

مبراي: نعم يا ريشار، إنني باسم جميع محبيك أجهر بأنك تجاوزت كل آمالهم بصفتك إنكليزياً، ولكنك خيبت آمالهم بصفتك زوجاً وابتناً.
ريشار: أرى مديحك يشوبه ذم.

مبراي: نعم، وهذا الذم أوجهه إليك بالنيابة عن أبيك الدكتور غراي وباسم زوجة مسكينة تحبك وقد جعلتها وحيدة فريدة في قرية صغيرة ولا رفيق لها إلا شيخ (مشير إلى نفسه) يمزج دموعه بدموعها.

ريشار: وما الداعي إلى كل هذه الدموع؟

مبراي: الداعي إليها أن چاني تحبك، وأنت تحققرها.

ريشار: وهل تصدق چاني أنني أحتقرها.

مبراي: كيف لا تصدق ذلك وقد هجرتها منذ ثلاث سنوات وكتمت عن الناس زواجك بها؟

الفصل الثالث

ريشار (إلى تومسون): ألا يزال الرجل ينتظرنى؟
تومسون (بحركة متهكماً على مبراي): نعم، وقد فرغ صبره ...
مبراي: الظاهر أنك سئمت من هذا الموضوع يا ريشار.
ريشار: ما سئمت شيئاً، وإنما علي مقابلة رجل ينتظرنى.
مبراي: ليس شئون الناس أهم من شئون زوجتك التي هي شئونك، ومع ذلك قابل
رحلك وسأعود إليك بعد ذلك.
(يخرج ريشار.)

المشهد الرابع

مبراي - تومسون - سيلفا

(قبل دخول سيلفا يدخل ريشار إلى الغرفة.)

سيلفا (وهو داخل): ها أنا ذا يا مستر تومسون.

(ينظر سيلفا فيرى مبراي فيطيل النظر إليه، وكذلك مبراي ينظر إليه فتظهر
عليه علامات الجزع، فيسأل تومسون.)

مبراي: من هذا الرجل؟

تومسون: المركيز سيلفا (سيلفا يأخذ تومسون على حدة).

سيلفا: من هذا الرجل؟

تومسون: هو مبراي.

مبراي (يجزع): يجب أن أفر من هذا المكان خوفاً من الفضيحة (يخرج).

سيلفا: ومن هذا مبراي فإنني لم أسمع بهذا الاسم قبل الآن ما لنا وله.

تومسون: فقد راح إلى سيبله.

سيلفا: وأين السير ريشار؟ (بصوت منخفض).

تومسون: هناك (مشيرًا إلى الغرفة).

سيلفا (بصوت عالٍ): أرجوك يا مستر تومسون أن تصغ لإتمام الحديث الذي بدأنا

به.

تومسون: تكلم يا حضرة المركز ... تفضل واجلس (يجلسان).

سيلفا: لا أخفي عنك يا مستر تومسون أن الوزارة مستغربة أشد الاستغراب بما

يبذله السير ريشار من الجهد في مقاومتها.

تومسون: ولكنه يدافع عن حقوق منتخبيه يا حضرة المركز. فهل تريد أن

يخونهم؟

سيلفا: معاذ الله أن أطلب منه خيانة حزبه وإنما نطلب الاتفاق معه.

تومسون: إذا أنتم تقترحون عليه رشوة.

سيلفا: كلا، وإنما نقترح عليه مخالفة.

تومسون: ولكن نواب الشعب لا يخالفون النبلاء.

سيلفا: ولكن ما قولك إذا تزوجوا من بنات الأشراف؟

تومسون: ما فهمت كلامك، فأوضح.

سيلفا: أليس السير ريشار عازب.

تومسون (بعد تردد قليل): بلى هو عازب.

سيلفا: فإذا اقترن بإحدى بنات الأشراف تغيرت مصلحته وصار من واجباته

الدفاع عنهم لا مصادمتهم ومقاومتهم. لأن الذي ينظر إلى المسائل العمومية من أسفل

ليس كمن ينظر إليها من عالٍ.

تومسون: ولكن لماذا اخترتم إلى مخالفته سبيل الزواج دون سواه؟

سيلفا: لنكون على ثقة من دوام مخالفته ومصادقته.

تومسون: وهل يمكنك أن تطلعني عن اسم العروس؟

سيلفا: اسمها مس ويلمور.

تومسون (منحنياً): حفيدة جنابكم.

الفصل الثالث

سيلفا: نعم، فإن ابنتي كارولين اقترنت باللورد ويلمور فولدت منه قبل وفاته هذه الابنة. وهي وحيدتها وإيرادها السنوي من أملاكها، مائة ألف جنيه إنجليزي، وفوق ذلك في خاطري أن ألتمس من الملك أن يعطي الرجل الذي يقترن بابنة اللورد ويلمور لقب أبيها فيكون لوردًا مثله.

تومسون: فهمت اقتراحاتك يا سيدي، وسأعرضها الليلة على السير ريشار، ولكن من يضمن للسير ريشار أنكم تخترون له هذه الوعود إذا ترك معارضة الوزارة.

سيلفا: إذا رضي باقتراحاتنا فلا تغرب الشمس غدًا حتى يكون كل شيء بين يديه.

تومسون: سأبلغه الاقتراحات وأرى رأيه.

سيلفا (ناهضًا للذهاب): ولكني أرجو التعجيل مخافة فوات الوقت.

تومسون: الأمر أمرك يا سيدي.

(يخرج سيلفا.)

المشهد الخامس

تومسون - ريشار (خارجًا من الغرفة)

تومسون: ما رأي السير ريشار فيما سمع؟

ريشار: إنني آسف لأنني لا أستطيع الرضا بذلك.

تومسون: ولماذا؟

ريشار (واضعًا يده على كتف تومسون): هل نسيت زواجي بچاني؟

تومسون: وأنت هل نسيت الطلاق؟

ريشار (بدهشة): الطلاق؟ كيف أطلق چاني ولا سبيل إلى ذلك إلا إذا رضيت به.

تومسون: إذا رفضت فإنك ترغمها عليه.

ريشار (مبهوتًا): وبأية وسيلة.

تومسون: سنجد الوسيلة متى بحثنا عنها.

ريشار (خاطراً نهائياً وإياباً وهو يفتكر): ومتى يطلبون الجواب؟
تومسون: غداً مساءً وعندي أن تغتنم فرصة غياب مبراي عن چاني وتسافر لتدبير
أمرک معها.

(هنا يدخل مبراي ولا يزال مذعوراً من تذكار رؤية سيلفا.)

تومسون: عاد مبراي. اذكر الديق وهي القضيب.
مبراي: نعم رجعت يا ريشار لأعلم ماذا أجيب چاني غداً.
ريشار: أرجوك يا مستر مبراي أن تمهلني قليلاً فأعطيك الجواب غداً مساءً إن شاء
الله.

مبراي: أمهلك ما شئت.
ريشار: شكراً لك ... (لتومسون) فليعدوا لي مركبة للسفر.

المشهد السادس

تومسون - مبراي - ريشار

مبراي (لنفسه): يسافر، وإلى أين يسافر؟

يدخل سيلفا ويذهب رأساً إلى الستائر التي تفصل مجلس العموم عن المسرح
ويبقى متصنّناً عليها.)

الرئيس (صوت الرئيس من الداخل): نسمع الآن السير ريشار رداً على خطاب
وزير المالية (صراخ في المجلس وجلبة) اسمعوا، اسمعوا، ريشار يتكلم، هس، هس.
ريشار (من الداخل): قد عدلت عن الكلام.

(يتنفس سيلفا الصعداء ويقول مسروراً.)

سيلفا: لقد خطى الخطوة الأولى.

الفصل الثالث

تومسون: وبعد الخطوة الأولى يهون كل شيء.
مبراي (صارخًا بنفسه): سبقًا لك أيتها المرأة الفاضلة أنا غراي. فإنه لم يعرف أخلاق ريشار أحد غيرك.

المنظر الثاني

(منزل چاني في البرية، چاني واقفة في إحدى الغرف أمام بالكون أو نافذة مشرفة على القضاء في صدر المسرح، ويحسن جعل القضاء ورواء النافذة أو البالكون ظاهرًا، فيرى الحاضرون أن وراء النافذة عمقًا عظيمًا.)

المشهد الأول

چاني

چاني:

أه من طول وحدتي وانفرادي	وشقائي المبرح التماذي
وابتعاذي عن وجه زوجي حبيبي	بل ظلموا في الذي يحب ابتعاذي
عشت من بعده ثلاثة أعوا	م طوال علي سود شداد
لا رفيق ولا سمير يواسيني	سوى الدمع والجوى والسهاد
أشككي لوعتي فلا يسمع الشك	وى سوى ما يحيط به من جماد
وأعد النجوم ملقية السمع	إلى كل خافق مرتاد
أه يا والدي خلفتماني	لقرين قاس كثير العناد
كنتما تحسباناه صادقًا الـ	وعد شريفًا برًا رحيم الفؤاد
فحرام عليك يا قلب ريـ	شار حفاني الذي أضاع رشادي
أنا لا أترك الوداد وإن لا	قيتني مثل ما تلاقي الأعادي

أه، ما أصعب المعيشة في هذه الوحدة، راح مبراي إلى لندن ليرى ريشار لعله يلين قلبه فيخيل لي الآن لشدة وحشتي أن مبراي لا يعود أيضًا، وقد وعدني بأنه يكتب إلي حين مقابلته ريشار فلعل كتابه قد ورد.

ابن الشعب

المشهد الثاني

چاني - باتي

چاني (منادية): باتي، باتي.

باتي (داخلة): مولاتي.

چاني: هل وردت إلي كتب يا باتي؟

باتي: كلا يا سيدتي.

چاني: متى ورد لي كتاب فأنتني به على عجل ... اسمعي ما هذا؟

باتي: ماذا؟

چاني: ما هذا الصوت؟ أظنه صوت مركبة، نعم هو صوت مركبة وقد وقفت أمام

الباب؟

باتي: أظن مبراي قد عاد من لندن.

چاني: كلا فإن مبراي يعود في المركبة إلى القرية، ويصل إلى هنا ماشياً. ليس

القادم مبراي بل شخص آخر أحس يا باتي بشدة خفقان قلبي، وأظن أن القادم هو

السير ريشار نفسه ... آه لا أستطيع النظر إليه ولكن ما أشد حمقي كيف يخطر لي أن

ريشار يأتي لزيارتي بعد طول هجره لي ... ها، ولكن هذا وقع خطاه ... هو، هو بعينه.

آه ...

(تلقي نفسها بين ذراعي ريشار حين دخوله.)

المشهد الثالث

ريشار - چاني

ريشار: ما بك يا چاني.

چاني (باكية): يسألني ما بي ... بي أنني أبكي وأدوب شوقاً إليك، بي أنني لم

أرك منذ سنة كاملة ... أفهمت ما بي؟

الفصل الثالث

ريشار (متفلاً منها بلطف): كفكفي دموعك يا چاني وهدئي روعك.
چاني:

نعم أصون دموعي وأنتهي عن ولوعي
فقد رجعت إلى من تهواك خير رجوع
بعد ابتعادك عاماً أحرقت فيها ضلوعي
وليس لي من معين وليس لي من شفيع

ريشار: نعم قد عدت إليك يا چاني، واغتنمت فرصة غياب مبراي لأخاطبك على انفراد.

چاني (تتعجب): على انفراد؟! وهل لديك سر تروم إطلاعي عليه؟
ريشار: لدي مسألة أطلب منك الموافقة عليها.
چاني: موافقتي أنا؟ فيا لسعادتني، مرني ما تشاء، أأنت في حاجة إلى المال لأبيع إحدى مزارع أبي؟ فإن مقامك في لندن يستلزم ولا بد نفقات طائلة.
ريشار: كلا يا چاني، لست في حاجة إلى المال.
چاني: فما غرضك إذا؟ اجلس أولاً يا حبيبي.
(تقدم له كرسيًا.)

ريشار: لا أستطيع الجلوس لأني مسافر بعد ساعة.
چاني: تسافر من غير أن تأخذني.
ريشار: لا أستطيع أخذك الآن.
چاني (بحزن وانكسار): اجلس إذا فأكون شاهدتك ساعة على الأقل.
ريشار: هل تضجرين في هذا المكان؟
چاني: لا أضجر من الانفراد، ولكن أضجر لأني بعيدة عنك لا سيما وأنك لا تجاوبني على رسائلي.
ريشار: أظنك تعرفين السبب.

چاني:

لا تعتذر لا تعتذر
لكننا جنس النسـ
موجودة للحب لا
ولذاك كنت نسيت سـ
حتى فطنت لما عليك
فشكرت صنعك كلما
وطربت لاسمك حين تـ
فلقد هزرت الأرض بالخـ
يا ليتني قد كنت سا

إني بشغلك دارية
ءاء نرى الحياة الغالية
للحادثات القاسية
عيك في الأمور الجارية
به بلادك قاضية
أتلو الجرائد نائية
ذكره بحمدك داعية
طب الغوالي العالية
معة كلامك رائية

ريشار: ولكنك تعلمين أن حالتنا المالية لا تساعدنا على ذلك.

چاني: نعم وهذا هو الأمر الذي صبرني، ولكن اصدقني أيها الحبيب أما من مانع يمنع من إقامتي معك في لندن غير رغبتك في الاقتصاد؟
ريشار: هذا أهم الموانع.

چاني: فاسمع إذاً يا ريشار، إنني أريحك وأستريح معاً، فإنني أتنازل عن كل حقوق الزوجية، وأرضى أن أعيش سرّاً في المنزل الذي تعيش فيه من غير أن يدري أحد أنني امرأتك، وبذلك تقتصد ما تريد أن تقتصد، أيرضيك هذا الشرط يا ريشار؟
ريشار: لا ريب أنك مجنونة.

چاني: فلندع إذاً هذا الحديث، وقل لي ما هو الأمر الذي قلت إنك جئت من أجله؟
ريشار: إن هذا الأمر يعيدنا إلى الحديث الذي كنا فيه.
چاني: وما هو؟

ريشار: هو أن مركزي السياسي في لندن وبعض الأحوال الوزارية الخصوصية صارت تقضي علي بزيادة البعد بيننا.
چاني (بشيء من القوة):

أما وكفأك اغترابي عنك من زمن قاسيت فيه ضروب الهم والأسف

الفصل الثالث

فأبي بعد له ترضي أما انقطعت
ولست أسمع عما أنت فيه سوى
بيني وبينك سبل الود والشغف
ما بت أقرأه في سائر الصحف

ريشار:

هل ذاك عتب وتأنيب أردت به
غيظي لتنتقمي مني وتنتصفي

چاني:

كلا ولكنها شكوى أبوح بها
وأستعين بدمعي المفدق الوكفي

ريشار:

ما لي على هذه أو تلك مصطبر

(يغضب.)

چاني:

فكيف أصنع يا ويلي ويا لهفي؟
وأي أمر إذا قد جئت تطلبه
فبح بسرك يا ريشار واعترف
اترك إنجلترا وهي التي حفظت
عظام آبائي الماضين والسلف
ماذا تريد وماذا ترضى وإلى
متى ابتعادي عن زوج به شرفي

ريشار (ببرودة): أخطأت يا چاني فأنا لا أريد إكراهك على الخروج في إنكلترا بلاد
آبائك وأجدادك، وليس لي حق في أن أطيل هجرك ونفيك، لقد أخطأ الزمان إذ ربطني
وإياك برباط واحد مع ما بيني وبينك من التباين في الأخلاق، ولكن لا يجب أن تقع تبعة
هذا الخطأ على رأسك بل يجب أن أعيد لك هناءك وحريرتك.

چاني: لم أفهم حرفاً مما تقول.
ريشار: ومع ذلك يا چاني فإن الذي جئت أقترحه عليك الآن أمر موجود بيننا وإنما أنت تحملين مضاره دون التمتع بمنافعه.
چاني (بقلق وهياج): تكلم تكلم كمل، كمل؛ لأنني لا أفهم شيئاً. آه بل اسكت، اسكت، لأنني بدأت أفهم.
ريشار: فلو كان بيننا انفصال.
چاني: كلمة أخرى أيضاً.
ريشار: شرعي.
چاني (صارخة بأقصى درجات الهياج): الطلاق؟
ريشار (ببرودة): نعم الطلاق يا چاني.
چاني: آه يا إلهي، آه يا أبي وأمي.
ريشار (مستأنفاً): فلو كان بيننا طلاق؟
چاني (بهياج شديد): آه ما أقساک، اسكت وإلا قتلتني.
ريشار: سكتي روعك يا چاني وارضخي لحكم القضاء.
چاني (مستعطفة): ريشار، ريشار ارحمني وأشفق علي.
ريشار: لماذا تخافين من الطلاق؟ مع أننا نعيش الآن في حالة كحالاته فهل ذلك لأنك تخافين كلام الناس؟
چاني: أنا لم أنظر إلى السلاح ولكني شعرت بطعنته.
ريشار: ولكنها طعنة يشفيها الزمان يا چاني، فإنك لا تزالين صبية، فأوا أحببت حباً آخر ...
چاني (قاطعة كلامه): حباً آخر؟ آه يا للعار، تقول حباً آخر؟ اقتلني ولا تهني، أنا أحمل عذاب القتل ولكني لا أحمل الإهانة.
ريشار: لا قتل ولا إهانة يا چاني، وما هذه سوى كلمات فارغة، وإشارات باطلة، لا ترجعيني عن غرضي.
چاني: إنه غرض فظيح.

غرض فظيح إن وصلت إليه لم تسلم من التقرير والتأنيب
أتريد تطليقي كأني لم أكن أدعوك قرة ناظري وحببي

الفصل الثالث

أريد حرمانني من السند الذي
ونسيت ما قد كنت تبدي من رضا
هلا زكرت موثاقًا أكدتها
هلا رئيت لزوجة مسكينة
وكفيتني نكد الحياة لأنني
أرجوه عند الحادث المرهوب
وعناية بي راجيًا تقريبي
لأبي وأمي يوم كنت خطيبي
محرومة من ناصر وقريب
لا أستحق مرارة التعذيب

ريشار: ومن قال إنني أعذبك يا چاني؟ فإنني لا أدع أحدًا يعرف بأمر طلاقك، وإن كنت تخافين من تشهير المحكمة وتفاصيل المحاكمة فاعلمي أنني لا أرفع قضيتنا إلى المحكمة أبدًا؛ لأن ذلك يضر بمصلحتي.

چاني (متعجبة): فكيف إذا تريد الطلاق فإنني لم أعد أفهم شيئًا.

ريشار: إننا نتفق يا چاني معًا على الطلاق، ومتى رضيت به لم نعد في حاجة إلى محكمة طبقًا للقانون.

چاني (بأشد هياج): ماذا؟ أتحسبني ضعيفة، لئيمة إلى هذا الحد؟ هل خطر في بالك أنني أوقع من تلقاء نفسي على صك أقول فيه أنني ساقطة، غير أهل لأكون زوجة للسير ريشار؟ إذا أنت لم تعد تعرف أخلاقي، فإن الدموع والمصائب قد غيرتها وجعلت في نفسي إرادة قوية قادرة على الصبر والثبات، وهذا من سوء معاملتك ونتيجة عملك. فلننظر الآن من منا الأقوى، أنا الضعيفة أم أنت القوي (بعظمة وحدة) أيها السير ريشار أنا أرفض ما طلبت.

ريشار: انكري أيتها السيدة أنني لم أتخذ معك إلى الآن غير اللين والمسالمة.

چاني: جرب غير اللين إذا أردت.

ريشار (متقدمًا منها بغضب وهدو): چاني.

چاني (متقدمة منه كما صنع): ريشار.

ريشار: ويليك أيتها التعيسة، أتعلمين ماذا أصنع بك إذا أصررت على الرفض.

چاني: ربما حذرت ذلك.

ريشار: أولاً ترتجفين إذا؟

چاني: أرتجف؟ ولماذا؟ انظر إلي (تحاول إظهار التبسم).

ريشار (ياخذ ذراعها ويشدها): أيتها المرأة عودي إلى رشدك.
چاني (جاثية من عزم الضغط على يدها): آه، يا ربي.
ريشار (ينهضها): لماذا؟ أتجثين؟
چاني (ناهضة ورافعة يدها إلى السماء): رفقا به يا إلهي فإنه لا يعلم ماذا يصنع.
ريشار (بحدة وغضب ظاهر): بل ادعي الله أيتها المرأة أن يرفق بك أنت لأنك أحق بالشفقة مني، أنا ذاهب، وهذا آخر عهدي بك.

(يهم بالذهاب فتهجم عليه چاني كاللبوة وتمسكه بذراعها من عنقه معانقة إياه بشدة.)

چاني: بعيشك يا ريشار لا تذهب.
ريشار (يريد التخلص منها): دعيني، دعيني.
چاني (لا تتركه): ريشار، ريشار آه لو تعلم كم أحبك!
ريشار: برهني على حبك لي بخضوعك.
چاني: آه يا أمي لقد صدقت في قولك عن أخلاقه.
ريشار: والآن أسألك للمرة الأخيرة، أتركيني أم لا؟
چاني: حبيبي، روعي، اسمع لي.
ريشار: اسمعي لي أنت أيضا، ارضي بما طلبت وإياك أن تكتبي لي بعد اليوم كتابًا أو حرفًا واحدًا، أو يعرف أحد بوجودك، أودعك الآن.
چاني (هاجمة عليه مثل الأول): لا لا تسافر.
ريشار (كمن فرغ صبره): أف من هذا الدلال.
چاني: إنك لا تسافر ولو تقتلني.
ريشار (يدفعها عنه دفعًا شديدًا فتقع على الأرض ويصدم رأسها بالطاولة فيسيل الدم من رأسها): اتركيني قلت لك.
چاني: آه، آه، لو لم أكن أحبك لما احتملت مثل هذا (تقول هذا وهي تستعد للقيام ولكنها لا تقدر فتقع مغمى عليها).

الفصل الثالث

ريشار: أغمي عليها، جُرحت، يا لله. چاني، چاني (يحملها إلى كرسي) وهذا الدم الذي لا ينقطع (ينشفه بمنديله) أف، لقد أطالت إقامتي هنا، چاني، چاني ألا تجاوبين؟ إذاً أسافر أودعك الآن.

(يهم بالخروج فيدخل تومسون).

المشهد الرابع

تومسون - ريشار - چاني (مغمى عليها)

ريشار: ما وراءك؟

تومسون: قد نظرت مبراي قادمًا من القرية إلى هنا.

ريشار: وما غرضه؟

تومسون: لعله للدفاع عنها حسب عاداته.

ريشار (متنهدًا): أف، يجب أن لا يراها هذا الرجل بهذه الحالة. چاني، چاني (يأخذ رأسها بين ذراعيه).

چاني (متنهدة): ريشار، ريشار، ماذا؟ أنا بين ذراعيك؟ فيا لسعادتي. آه، إن

جبيني يدمي.

ريشار: چاني، إن رجلاً قادمًا إلى هذا المكان، فلا يجب أن يعلم شيئًا مما جرى.

چاني: ومن هو؟

ريشار: مبراي.

چاني (متنعشة): آه، فليأت.

ريشار: ولكن لا تذكرني له كلمة مما جرى فإنني أمرك بذلك.

المشهد الخامس

مبراي - چاني - ريشار - تومسون

(يدخل مبراي وهو ينظر إلى چاني ساكنًا.)

ريشار: ما جاء بك يا مبراي؟

مبراي: جئت لأسلي چاني في انفرادها لما علمت بسفرك من لندن.

ريشار: أصبت، وأنا أشكرك على ذلك.

مبراي: هل تأمر بأن أعود غدًا إلى لندن لأخذ جوابك عن الأمر الذي تحدثنا فيه.

ريشار: أظن أن حضورني الآن هنا هو خير جواب.

مبراي: فهل أرضيت چاني وسكنت روعها.

(چاني تنظر إلى ريشار، وريشار ينظر إليها فتنطرح بين ذراعيه.)

ريشار: نعم هي راضية.

مبراي: لا، لأنني أعلم أنها لا تكون راضية إلا متى أخذتها معك إلى لندن.

ريشار: ومن قال لك إنها ستبقى بعيدة عني؟

چاني (ماسكة ذراع ريشار): صحيح هذا القول؟

ريشار (بفتور): نعم، إذا كنت تريدين ذلك، أما الآن، فأستودعكم الله لأني مسافر.

چاني: دون أن تأخذني معك.

ريشار: لا أقدر أن أنتظرك الآن فقد وعدت أحد الوزراء بمقابلته اليوم.

مبراي: سِرْ إِدًا بأمان.

چاني: إلى الملتقى يا ريشار.

ريشار (خارجًا): إلى الملتقى (لنفسه) ويل للوزراء على العناء الذي قاسيته في هذا

المكان (يخرج هو وتومسون).

چاني: آه، ما أحلى الأمل في الراحة والهناء في هذه الحياة.

الفصل الثالث

مبراي (بهيئة حزن): چاني امسحي الدم أولاً عن جبينك وبعد ذلك أضم أملي إلى
أملك.

الفصل الرابع

المنظر الأول

(لمجلس الوزراء غرفة ولقاعة الملك غرفة، فالمرسح إذًا غرفتان مفصولتان وبينهما باب يفتح ويقفل — فيكون الوزراء سبعة أو ثمانية جالسين في مجلس الوزراء كل في مكانه ما عدا كرسي رئيس الوزارة فإنه يبقى فارغًا، ويكون الملك جالسًا في غرفته أمام طاولة عليها أوراق وبجانبه رئيس الوزارة يحادثه في أذنه حديثًا سرّيًا.)

المشهد الأول

الوزراء

وزير الداخلية: اجتمع مجلس الوزراء أيها السادة.

وزير الحرب: ولكن أين الرئيس؟

وزير الداخلية (مشيرًا لغرفة الملك): إن رئيسنا دخل لمقابلة الملك.

وزير الحرب: ولكن ما الداعي لعقد جلسة غير اعتيادية في هذا النهار؟

وزير الداخلية: لا أعلم ولكن أرى من الواجب الاجتماع في ما بيننا للمحادثة قبل

الجلسة التي يعقدها مجلس العموم غدًا لتقرير ما يجب علينا صنعه إذا رفض مجلس

العموم اقتراح الوزارة.

حارس (معلنًا): الوزير الأول.

وزير الحرب: ها قد جاء رئيسنا وسنقف منه على حقيقة الخبر.

الوزير الأول (للحارس): اخرج من القاعة ودعنا وحدنا.

وزير الحرب: هل كنت عند الملك؟

الوزير الأول: نعم أيها السادة.

وزير الحرب: فماذا يرى جلالته؟

الوزير الأول: إن جلالته مستاء أشد استياء من المعارضة الشديدة التي ظهرت في

مجلس العموم، وقد وكل إلينا اتخاذ كل الوسائل الفعالة لمقاومتها.

وزير الحرب: ولكنني الحق أقول لكم إن لم يبقَ لدينا إلا وسيلة واحدة.

وزير الداخلية: وما هي؟

وزير الحرب: هي استمالة السير ريشار إلينا مهما كلفنا هذا الأمر.

الوزير الأول: وهذا هو السبب الذي جمعتمكم أيها السادة من أجله فإننا قد بدأنا

بمخابرة السير ريشار.

وزير الحرب: وماذا قال؟ هل رضخ؟

الوزير الأول: لقد اقترحنا عليه بعض الأمور فأسمعنا كلامًا جعلنا نؤمل كثيرًا وقد

سألته أن يقابلني في هذا المساء مقابلة سرية.

وزير الحرب: ولكن ما العمل إذا أصر ريشار على الرفض وبقي يعارضنا؟

الوزير الأول: حينئذ نتخذ الوسيلة الأخيرة التي لدينا.

وزير الداخلية: وما هي؟

الوزير الأول: هي مقابلة ذات خطر وخلوة لا يخرج منها إلا راضًا.

حارس: إن أحد أعضاء مجلس العموم يطلب الدخول على فخامتكم.

الوزير الأول: وما اسمه؟

حارس: السير ريشار.

الوزراء (بتعجب): السير ريشار!

الوزير الأول: أتاني في وسط المجلس، ما هكذا كان الاتفاق (للحارس) أدخله فلا

يسعنا إلا مقابلته.

المشهد الثاني

ريشار - الوزراء

ريشار: سلام يا أصحاب الدولة.

وزير المالية: أهلاً وسهلاً بالسير ريشار.

ريشار: ترحب بي من قلبك أم من فمك؟

وزير المالية: كيف لا أقول ذلك من قلبي؟ فإنك جئت في حينك.

ريشار: إنذا كنتم تنتظرون زيارتي؟

وزير المالية: ما كنا ننتظر، ولكن كنا نؤمل.

ريشار: ولكن أتعلم يا سيدي أن هذا الأمل لا ينطبق على عظمتكم وعلى حقارتي.

وزير المالية: وكيف ذلك؟

ريشار: ذلك أني أعدكم ممن يزعمون سيادة النبلاء على الشعب، فأنتم أعظم

الرجال الذين تحرسون عرش المملكة، وأما أنا فلست إلا نائباً صغيراً من نواب الشعب

فكيف تؤملون في؟

وزير المالية: ولكن الشعب يا سيدي صار مساوياً للنبلاء والملكية منذ أصبح يحب

الفريقين ويخدمهما كما يخدمانه.

ريشار: كلا يا سيدي، وإنما حقوق الشعب أشد رسوخاً وأكثر قدمًا مما تظن

فإنها تنتهي إلى كرومول الذي جعل شعاره تاجاً من طين بإزاء فاس حديدية كبرى

وسندان من خشب، التاج رمز إلى الملكية، والفاس والسنديان رمز إلى قوة الشعب.

وزير الداخلية: وهل هذا تهديد أيها السير ريشار؟

ريشار: كلا يا سيدي، ولكنه تاريخ.

الوزير الأول: حسناً تقول عن الشعب والملكية يا سير ريشار، ولذلك أنشأوا بينهما

طبعة النبلاء لتكون حاجزاً بينهما فإننا نحن نرس بقى الشعب كبرياء الملكية، والملكية

إلحاح الشعب ومطامعه، وفي أيدينا أيدي الفريقين فيجب أن تضمنهما معاً رغبة في

الاتحاد والمسألة.

ريشار: الشعب يا سيدي لا يسالم ولو يعقد اتفاقاً في هذا الزمان ولكنه يأمر أمراً.

الوزير الأول: ولكن ما هكذا وعدنا يا سير ريشار!

ريشار (بغضب): وعدتم؟! ومن هو هذا الوقح الذي وعدكم عن لساني.

الوزير الأول: إن لم يكونوا قد وعدونا فإنهم جعلونا نؤمل.

ريشار: جعلوكم تؤملون أن أخون حزبي؟

الوزير الأول: كلا، ولكننا ظننا ...

ريشار (قاطعاً كلامه): ماذا ظننتم؟ أظننتم أنني أرتشي؟ أهذا هو السبب الذي

جعلك يا حضرة الوزير تطلب مقابلي في هذا المساء مقابلة سرية؟

الوزير الأول: ولكن أظن هذا الكلام ...

ريشار (قاطعاً كلامه): هذا كلام أقوله في وسط المجلس غير هياب منكم، لقد جئتم

تعرضون علي هدايا الملك ونعمه، فأنا الآن أدفع بقدمي هداياكم ونعمكم، أفهتم؟

الوزير الأول (للوزراء): لم يبق لدينا إلا الوسيلة الأخرى.

(يخاطب همساً أحد الوزراء فيدخل هذا الوزير إلى غرفة الملك ويجلس بإزائه،

ويحدثه سراً ويكون الملك في أثناء المشهد الذي تقدم جائلاً في غرفته زهاباً

وإياباً وهو يتصنت لما يقوله ريشار.)

ريشار (مستأنفاً كلامه): فماذا تقولون غداً إذا وقفت في منبر مجلس العموم

وصرخت منه في وجه الأمة كلها أنكم تطلبون رشوتي فماذا تقولون؟

الوزير الأول: وأي برهان لديك علينا؟ أليس في وسعنا الإنكار؟

ريشار: كل من ينكر منكم أصفعه بهذه الكلمة: أنت كذاب.

الوزير الأول (بغضب): فإذا لاقنا غداً في مجلس النواب يا سيدي، نحن نريد السلم

وأنت تريد الحرب، فليكن ما تريد.

ريشار: نعم وغداً نلتقي.

(هنا يدخل الوزير من عند الملك ويهمس في أذن الوزير الأول كلاماً.)

الفصل الرابع

الوزير الأول (لريشار): سير ريشار، تفضل وانتظر قليلاً في هذه القاعة لشأن خصوصي (تخرج الوزراء كلهم من القاعة).

ريشار:

ولكن ما عساهم أن يريدوا
فهل راموا خداعاً واحتيالاً
ولكن لا أخاف ولا أبالي
فإن الشعب أجمعه ورائي
وهذا قادم أخذته عيني
وأية حاجة لهم وأمر
لا بد أني الذي طلبوا وضري
بكيد من جموعهم ومكر
يقوي ساعدي ويشد أزري
فمن هو في الصحابة ليت شعري

(في أثناء ذلك يكون الملك قد خلع البرقيز ونزع التاج عن رأسه فيظهر بملابس اعتيادية فيتناول من خزائنه بعض أوراق يمسكها بيده وقبعة مدورة كبيرة يلبسها فتغطي وجهه ثم يدخل على ريشار من الباب الذي بين الغرفتين ويسمى الملك هنا الرجل المجهول.)

الرجل المجهول: إنك تعجب من رؤيتي لأنك لا تعرفني أيها السيد، أما أنا فأعرفك فأنت سكرتير هذا المجلس (يحاول ريشار الإنكار) فإنني أريد أن تكون سكرتيراً لمجلس الوزراء.

ريشار (وقد فهم فينحني ويقول): أنا كما تقول يا ميلورد.

الرجل المجهول: حسن، قد فهمت كلامي، تفضل الآن يا حضرة السكرتير واجلس على هذه المائدة.

(يجلس ريشار في مكان السكرتير ويقول.)

ريشار: ها أنا أنتظر أوامر الميلورد.

الرجل المجهول (يقوم له أوراقاً): أكرم بفحص هذه الأوراق واذكر لي فحواها.
ريشار (يتناول أحدها ويقرأ): أمر ملكي يمنح لقب ملكية مقاطعة كارلستون وما يتبعها في إقليم ديفونشير إلى ... (يكلم الرجل المجهول) مكان الاسم فارغ يا ميلورد.

الرجل المجهول: نعم، فاكتب فيه الاسم الذي أذكره.

ريشار: كيف ذلك؟

الرجل المجهول: اكتب في مكان الاسم اسم: «السير ريشار دار لنكتون».

ريشار: لا أستطيع أن أكتب ذلك يا سيدي.

الرجل المجهول: كيف لا تستطيع ذلك يا حضرة السكرتير؟ أترفض أن تكتب في

هذه الورقة اسمًا لا أذكره إلا بالاحترام الذي يجب لمواهب صاحبه؟

ريشار: هذا إكرام عظيم يا ميلورد.

الرجل المجهول: اكتب، اكتب، اكتب وتمم مطالعة الأوراق.

(ريشار يكتب.)

الرجل المجهول: تناول الآن غيرها يا حضرة السكرتير.

ريشار (يقرأ ورقة أخرى): أمر بمنح لقب كونت على وجه الإرث إلى ...

(ينظر إلى وجه الرجل.)

الرجل المجهول: اكتب، اكتب ريشار دار لنكتون أيضًا.

ريشار: أمرك مطاع (يكتب).

الرجل المجهول: والورقة الثالثة؟

ريشار (يتناولها ويقرأ): صورة صك الزواج المعقود بين المس لوسي ويلمور ابنة

اللورد ويلمور وحفيدة المركيز دي سيلفا وبين ريشار دار لنكتون الذي أصبح يسمى

الكونت ديكار لستون.

الرجل المجهول: نعم، نعم أعلم ذلك، ولكن اقرأ لي شروط الزواج في هذا الصك.

ريشار (يقرأ): أولاً: إن مس ويلمور تمنح زوجها الجديد مائة ألف جنيه دخلاً

سنويًا. ثانيًا: إن المركيز سيلفا أوصى لحفيدته مس ويلمور بكل ثروته فهي وارثته

الوحيدة. ثالثًا: إن لقب لورد الذي لأبي مس ويلمور يعطى لزوجها ولأولادها بحق الإرث.

الرجل المجهول: فاسمع الآن يا سير، ما قولك إذا كان الملك جورج يضع ختمه على

هذا الصك ويقرنه بهدية ملكية للعروسين.

ريشار (مدهوشًا): كل هذه النعم لرجل واحد في ساعة واحدة.
الرجل المجهول: لا ريب أنك كثير الطمع. وبما أنك تصير إلى هذا الحد، فلا شبهة في أنك ستكون رجلًا نافعًا للملك والملكة، وأنت تعلم أن الوزارة فقدت شهرتها ولذلك فإنها ستسقط ومتى سقطت فإن الملك يؤلفها من العنصر الديموقراطي، بل قد سمعته يقول منذ حين أن سيختارها من أصغر اللوردات سنًا ليكونوا أكثر نشاطًا وأنت صغير السن ولورد حسب هذه الأوراق، أفلا تظن أن الإنسان يخدم وطنه وهو في مقاعد الوزراء أكثر مما يخدمه وهو في مقاعد النواب.

ريشار (بدهشة): إخلاص لا حد له ونعم لا عدد لها.

الرجل المجهول: بقيت لديك ورقة.

ريشار: نعم، ولكنها بيضاء بلا كتابة.

الرجل المجهول: ألا تفهم المراد بذلك.

ريشار (بعد تردد قليل): فهمت فهمت، وهذا توقيعي عليها (يوقع عليها بإمضائه) أرهنه لديك دلالة على الاتفاق.

الرجل المجهول (بعد تناول الورقة): أما أنا فإنني عائدًا إلى الملك لأقول له إننا تعارفنا وتصادقنا.

(يخرج الرجل المجهول فيبقى ريشار في أشد حيرة واندهاش فيقلب نظره في المكان وفي مجلس الوزراء.)

ريشار:

قد كنت آمله من الأيام
فأنا عميد الملك في الأقسام
أمضي على قومي به إحكامي
في الأرض من دانٍ ومن مترامي
أبغيه من نقض ومن إبرام
بل من يباري رتبتي ويسامي
والفعل للوزراء والحكام
من رفعة جاءت كسهم الرامي

الآن قد نلت المنى بل فوق ما
نلت الوزارة في نهار واحد
والأمر أمري ثم هذا مجلسي
تمد من هذا المكان إرادتي
وتشير في الأقطار نافذة بما
من ذا يحاكمني ويملك سطوتي
ليس المليك اليوم إلا آلة
ولقد فقدت الرشد مما نلته

يا خير مملكة يعظم قدرها بين الممالك أيما إعظام
إني أنا مولاك فاحني رأسك العالي لدي وطاطئيه أمامي
ماذا أرى من ذا الذي هو قادم نحوي، مقال، تعالي أنت مرامي

(يدخل عليه تومسون سكرتيره.)

ريشار: أعرفت ما قد جرى لي؟

تومسون: نعم جاءت امرأتك.

ريشار: أي امرأة؟

تومسون: چاني، أنسيتها.

ريشار: ويل لها من غضبي وانتقامي (بغضب عظيم وهو خارج).

المنظر الثاني

في منزل السير ريشار في لندن

المشهد الأول

مبراي - چاني

چاني: آه، إني لا أجسر أن أراه يا مبراي فإنني أخاف غضبه لأنني جئت من غير إذن.

مبراي: ولماذا الخوف؟ ألسنت امرأته؟

چاني: رحماك، اخفض صوتك لئلا يسمعنا الخدم.

مبراي (بصوت أعلى): فليسمعوا فإنهم سيعرفون اليوم أو غدًا أنك زوجة سيدهم.

چاني: إني أسمع وقع أقدام، إلهي ... أظنه أتى.

مبراي: اسمعي، اسمعي (ينصتان ليسمعا).

چاني: هو، هو، بعيشك دعني أذهب فإنني لا أستطيع رؤيته. آه، ليتني عصيتك ولم أحضر معك، بربك لا تدعه يراني.

الفصل الرابع

مبراي (لخادم): أدخل السيدة إلى غرفة أخرى لأخلو ريشار على حدة.
چاني (وهي داخلة للغرفة): فقط أوصيك بملاطفته يا مبراي ولا تفحم كبرياءه
فإنك تعرف أخلاقه.
مبراي: نعم سألأينه وألطفه حتى يأتي ذلك الؤوم الذي يجب فيه أن أسحق كبرياءه
سحقًا (ثم ينظر الجهة الثانية) ولكنني لا أراه قادمًا بل أرى امرأة.

المشهد الثاني

لادي ويلمور - مبراي - خادم

الخادم: اسمك يا سيدتي.
اللادي: لا أقوله إلا للسير ريشار.
مبراي (بدهشة وارتعاد): إلهي، ماذا أرى.
الخادم: ولكن السير ريشار غائب.
اللادي: فأنا أنتظره.
مبراي (لنفسه دون أن تراه المرأة): لادي ويلمور، كارولين ديسيلفا، وأنا! أنا ماذا
أصنع هنا؟ أين أختبئ منها؟ أه في هذه الغرفة (يختبئ بغرفة غير الغرفة التي بها
چاني).
الخادم: تفضلي واجلسي يا سيدتي في هذه القاعة، فإن السير ريشار سيحضر بعد
حين.

تومسون (داخلاً من الباب وخارجاً من آخر): أين السير ريشار؟

المشهد الثالث

لاادي ويلمور - ريشار

ريشار (من الباب بحدة يقول للخادم): هل أنت سيدة تسأل عني.

الخادم: نعم يا سيدي وهي في هذه الغرفة.

ريشار: حسن، فقف خارجًا ولا تدع أحدًا يدخل علينا.

(ثم يغلق ريشار الباب بعد خروج الخادم ويقول بحدة من غير أن يرى

السيدة لأنه يظنها جاني.)

ريشار: أف، لقد فرغ صبري.

اللاادي (ناهضة ومتقدمة من ريشار): سير ريشار.

ريشار (مراجعًا نفسه باحترام): عفوًا مي لادي. فقد ظننت أنني ألقى شخصًا آخر

في هذا المكان إذ لم أكن أتوقع شرف زيارتك.

اللاادي: لقد قصدتك لأمر هام يا سير ريشار.

ريشار: مري بما تشائين يا سيدتي ولكن هل تفضلين علي قبلًا باسمك لأعرف

السيدة التي أتشرف بمخاطبتها.

اللاادي: اسمي اللاادي ويلمور.

ريشار (ناهضًا باحترام): كريمة المركيز سيلفا.

اللاادي: نعم يا سيدي، ولي معك حديث ذو شأن، فهل أنت على ثقة من أنه لا

يسمعنا أحد في هذا المكان؟

ريشار: نعم يا سيدتي.

اللاادي: سير ريشار، لقد أطلعني أبي أمس على أمر الزواج الذي سيعقد بينك وبين

ابنتي.

ريشار: نعم يا سيدتي.

اللاادي: وأبلغني أيضًا أن الملك مهتم بهذا الزواج وأنه سيهدي العروسين هدية

ملوكية سنهيه.

ريشار: نعم يا سيدتي.

اللاادي: وأن أبي سيهدي حفيدته ابنتي مائة ألف جنيه.

ريشار: أعلم كل ذلك يا سيدتي، ولكني مستغرب ذكرك لهذه الأمور المادية كأنهم أبلغوك أنني مادي وطالب مال.

اللاادي: كلا كلا، فإنني أعرف شرف نفسك وكرم أخلاقك، ولكنني قلت ذلك تمهيداً لسر أريد إطلاعك عليه.

ريشار: تفضلي يا سيدتي.

اللاادي: ولكنه سر عظيم، سر هائل يا سير ريشار لا يعرفه في العالم إلا ثلاثة: أنا، وأبي، ورجل آخر.

ريشار: ثقي يا سيدتي أن سرك يبقى مدفوناً في صدري، ومتى مات معي.

اللاادي: بارك الله فيك يا سير ريشار، فاسمع الآن قصتي. إن ثروتي لا ترثها ابنتي يا سير ريشار، وذلك ... وذلك آه إنني أخجل من نفسي إذا ذكرت ذلك ... ولكن لا بد منه (تسكت برهة) ذلك لأن لي ولدًا غيرها يا سير ريشار.

ريشار (باستغراب): أنت؟

اللاادي:

ولكن ما درى أحد	نعم لي غيرها ولد
عدانا عندها الرشيد	نتيجة ذلة فرطت
عناني الهم والكمد	إذا ما رحمت أذكرها
وذاك لهول ما أجد	وأستر عندها وجهي

ريشار: ولكن ألم يدره زوجك.

اللاادي:

قضاه الواحد الصمد	نعم لم يدر زوجي ما
لأهل الهند معتمد	قضي بالهند وهو إذا
فلا عضك ولا سند	فمذ أصبحت أرملة
ورقت مني الكبد	حننت إذا إلى ولدي

أردد ذكره وجوا نحي بالسهم تتقد
أردد ذكره إذ عا ش دوني وهو منفرد
فلا أم ترق له فينعم ذلك الخلد
ولا يحنو عليه أب فيقوى ذلك العضد
أرى حقًا علي له وهذا عيشه النكد
يملك كل ما تحوي يدي وجميع ما أجد
أجود به فلا سبد أآخره ولا لسبد
عسى إن كان يلعني لأني عنه أبتعد
سيجل في ترحمه علي إذا انقضى الأمد
أست تظن يا مولا ي ذا حسنًا وتعتقد

ريشار: لا ريب أن ذلك حسن يا سيدتي فهبيه كل ثروتك وخذيه إلى قصرك يعيش معك هنيء البال.

اللاادي: هذا محال يا سيدي.

ريشار: ولماذا يا سيدتي؟

اللاادي: لأن ذلك يستلزم أن أعرفه بنفسه وهذا أمر مستحيل.

ريشار: ولماذا؟

اللاادي: آه، هذا سر ثان، السبب هو أنه يطلب مني متى عرفني اسم أبيه، وأنا لا أستطيع ذكر أبيه.

ريشار: فالأفضل إذًا أن لا يعرفك الولد.

اللاادي: نعم، ولذلك رأيت أن أجيئك وأتخذك وسيطًا بيني وبينه، فإنني أطلب منك أن تذهب إليه وتقول له: إن أمك التي تحبك ولا تنسك قد بعثت إليك كل ثروتها فعش سعيدًا بها.

ريشار: سأقوم بهذا الواجب يا سيدتي، وثقي بأن ولدك إذا كان أصغر مني سنًا فإنه يكون ابني، وإذا كان بسني فإنه يكون أخي.
اللاادي (هاجمة على ركبته): آه، دعني أقبل ركبتك.

الفصل الرابع

ريشار: عفواً، عفواً يا سيدتي.

اللاادي: إنك أحييت قلبي يا سير ريشار، فمتى تذهب إليه لتبلغه هذه الرسالة.

ريشار: في هذا الأسبوع يا سيدتي، ولكن في أي مكان هو مقيم؟

اللاادي: هو مقيم في قرية ... (هنا يدخل مبراي من مخبئه ويصيح باللاادي).

مبراي: مي لادي ويلمور، هذا سر لا يجوز لك أن تبوحى به لأنه لغيرك.

اللاادي (مضطربة): هذا روبرتس.

مبراي: الزمي الصمت.

ريشار (بدهشة): ماذا يريد هذا الرجل؟

مبراي: خذي ذراعي أيتها السيدة.

ريشار: أنا لا أطيق أن ...

مبراي (قاطعاً كلامه): ولكن هكذا تريد السيدة.

ريشار: أحق ما يقول يا سيدتي؟

اللاادي: نعم، نعم، يا سير ريشار، آه، فلنذهب من هذا المكان.

ريشار: والحديث الذي دار بيننا (تخرج اللاادي وذراعها بذراع مبراي).

ريشار (بغضب): ولكن ما هذا الغضب من السماء؟ من أين أتاني هذا الرجل الذي

يتدخل في كل شأن من شئون بيتي؟ ومتى أستريح منه؟

(يدخل تومسون).

تومسون: ماذا كان يصنع مبراي هنا؟

ريشار: كان يتجسس عليّ، كان جالساً في بيتي يأمر وينهى فيه ما شاء الله، ما

شاء الله.

تومسون: وهل هو الذي يمنعك من قبول اقتراحات الوزارة فقد وصلتني شكواهم.

ريشار: قد رضيت بكل شيء.

تومسون: وهل حادثتك اللاادي ويلمور بشأن زواجك بابنتها؟

ريشار: نعم.

تومسون: وهل سمع مبراي حديثكما؟

ريشار: بلا شك.

تومسون (يخفق): إذا خسرنا كل شيء فإن مبراي سيطلع چاني على هذا الزواج.

ريشار: لا لا، فإنه لا يرى چاني بعد الآن لأنني أقسمت أنني سأفصلها عنه وأفصله عنها. فقد آن أن أتخلص من مداخلته.

المشهد الرابع

ريشار - تومسون - مبراي (عائدًا)

ريشار (لمبراي): قل لي يا رجل بأي حق تتداخل كل يوم في شئونني؟

مبراي: ما شاء الله على هذه اللهجة (ناظرًا إليه شزرًا).

ريشار: إنها لهجة رجل ساخط من مداخلتكم فيما لا يعنك.

مبراي: ولكن لا تنس.

ريشار (فغضب): أنسى؟ أنا لا أعرفك ولا أريد أن أعرفك ولست مديونًا لك بشيء.

مبراي: بل أنت مديون لي أولًا بالاحترام لشعري الأبيض ثم بالإصغاء إلى نصائحي

لأنك ناب الرجل الذي رباك وعهد إلى السهر على راحة چاني بعده.

ريشار: وهل تريد بذلك أنه جعلك جاسوسًا عليّ؟

مبراي: كلا، ولكن حامياً لچاني ومدافعاً عنها، فأرحها تسترح مني.

ريشار: بل تتركها وشأنها منذ اليوم.

مبراي: ما معنى هذا الكلام؟ هل تطردني من بيتك؟

ريشار: فسر كلامي كما تريد.

مبراي: ولكن، فاعلم أنني لا أدعك تنال مأربك منها، فأنا أسهر عليها سواء كنت

في بيتك أو في الشارع.

ريشار: كفى، كفى، واخرج من بيتي.

مبراي (لنفسه): يا لك من تعيس فاستعد للانتقام (يخرج مبراي).

الفصل الرابع

ريشار (بعد برهة): والآن ماذا أصنع؟

تومسون: هل عينت المكان الذي سيعقد فيه الزواج؟

ريشار: نعم عينت المنزل الذي كانت تسكنه چاني في البرية.

تومسون: أحسنت الاختيار فإنه مكان منفرد.

ريشار: ولكن ما العمل بچاني فإن وجودها يذهب بجميع آمالنا؟

تومسون: لقد دبرت أفضل الطرق للتخليص منها.

ريشار: وما هي؟

تومسون: هي أنك تمنحها مالا كثيرا وترسلها معي إلى فرنسا.

ريشار: ولكن ماذا يمنعها في فرنسا من النداء بأنها زوجتي؟

تومسون: ولكن صبرا لأكمل حديثي، وبعد إيصالها إلى فرنسا أعود منها إلى قرية

دار لنكتون وأنزل ضيفا على كاهن القرية؛ لأنه من أصدقائي ... في أي سنة كان اقترانك بها؟

ريشار: في سنة ١٨١٣.

تومسون: والشهر؟

ريشار: يونيو.

تومسون: فحين نزولي ضيفا في دار الكاهن، أسعى للحصول على مسجل سنة

١٨١٣، ثم أمزق منه صك زواجكما، وإذا لزم أحرقت السجل كله، وحينئذ لا يبقى من دليل بزواجك بچاني مهما زعمت أنك زوجها.

ريشار (بعد تأمل): حسن، فاصنع ما تريد وسر بچاني إلى فرنسا في هذا المساء.

تومسون: ولكن ...

ريشار: ولكن ماذا؟

تومسون: حينئذ يصير بيني وبينك جناية يا سير ريشار.

ريشار: لا تخف، فإنني أحكم وأرفع عنك، فاستعد للسفر واذهب قبلا إلى المركز

سيلفا وأخبره أننا سنوقع على صك الزواج في المنزل الذي لي في ضواحي لندن وأنني سبقتة إليه لشئون خصوصية وبعد ذلك عد سريعا، وخذ چاني إلى حيث ذكرت (إلى

الخدم) أين المرأة الثانية التي تنظرني.

خادم: في هذه الغرفة يا سيدي.
ريشار: ادعها إلي. وأنت يا تومسون سِر بالعجل وعد سريعًا (يخرج تومسون).
خادم (يدخل): هذه السيدة يا سيدي.
ريشار: فلتدخل، ولكن أغلق الأبواب ولا تدع أحدًا يدخل علينا.
خادم: أمرك سيدي.

المشهد الخامس

ريشار - چاني (داخلة بخوف)

چاني: ريشار.
ريشار (بحنق قليل): تعالي أيتها السيدة.
چاني: أين مبراي؟
ريشار: وأي دخل مبراي بيننا، فقد طردته كما تطرد الجواسيس؛ لأنه يكدر صفو عيشك بما يقوله لك عني.
چاني: كلا يا سير ريشار، فإنه لا يقول عنك إلا كل خير.
ريشار: أف، قلت لك إنني سئمت منه ومن مراقبته فأبعديه عني ولا ...
چاني: ثم تبعدني أنا ثانيًا أليس كذلك.
ريشار: وهل تحسبيني أنني لم أضجر بعد من مطاردتك إياي.
چاني: إذن أنت تطردني من بيتك، آه ما أقساک! (تبكي).
ريشار: إنك تبكين؟ ولكن إذا بدأت بالبكاء فبماذا تنتهين؟
چاني:

كأنني من عداد الخادمت	أتطردني أيا ريشار طردًا
فهل تنسى العهود الماضية	وأنت طلبتني وأخذت قلبي
يعد من الحقوق الواجبات	وللزوجات بين الناس حق
هويت طرحتي في الهاويات	فكاشفني الهوى حتى إذا ما
فما لك سؤتني في الخاتمت	وقد فاتحتني بالحب قبلاً

الفصل الرابع

ريشار (بغضب): ولكن ماذا تطلبين؟ وما تريدين؟

چاني: ريشار جئت أسالك جزءاً صغيراً من حبك القديم.

ريشار: حبي القديم؟ إنك مجنونة أيتها المرأة.

چاني: ولكن اذكر الماضي.

ريشار: الماضي هو العدم.

چاني: إذًا لم تحبني قط في حياتك؟

ريشار: أما وقد وصلت إلى هنا يا چاني فاسمعي، نعم لم أحبك قط، أسمعت؟ لم

أحبك قط في حياتي، وإنما كنت محتاجاً إلى زوجة ومركز فوجدتك أمامي.

چاني: يا للدناءة.

ريشار: ولو وجدت يومئذ لو وجدت أمامي امرأة غيرك بمركزك لاقتربت بها كما

اقتربت بك لأن الهيئة الاجتماعية تضع حول توابع الرجال الآن ليستعينوا بها على

الوصول إلى أغراضهم.

چاني: آه، ما أفزع هذا القول!

ريشار: فاعلمي إذًا أنني ما حبيتك قط ولا أحبك.

چاني: اسكت اسكت، قد قتلني.

ريشار: فاحكي الآن في سفرك أو في إقامتك (يدير ظهره).

چاني (بعظمة): بل أسافر، أسافر يا سيدي.

ريشار (مطلاً من النافذة): أعدوا خيلاً للسفر.

چاني: نعم أسافر لأذهب وأبكي مصائبني.

فمن شقيت بمثلك لا تقيم	أسافر يا ظلوم ولا أبالي
يساعدني به المولى الرحيم	فأندب سوء حظي في خلاء
تحف به على القلب الهموم	وما طب الهموم سوى انفراد
فقد يأسى على الظلم الظلوم	لعلك أن تعود إلى صواب

ريشار: أعدوا خيلاً للسفر.

چاني:

ولكن لو ندمت علي يوماً
وعدت تريدني من بعد هجر
وعادك ذلك الطبع الحليم
وهاج بقلبك الود القديم
فلس عنه الحوادث والليالي
لعل يجيبك العظم الرميم

ريشار: أعدوا خيلاً للسفر.

چاني: ولنكن مع من تريد أن أسافر؟

ريشار: مع سكرتير تومسون.

چاني: ولماذا لا أسافر مع مبراي؟

ريشار: أنا لا أحب سماع اسمه، ولا أعلم أين هو.

چاني (ببكاء): هل أسافر هكذا يا رباه، بلا كلمة تخفف بأسّي وعذابي.

ريشار: أعدوا خيلاً للسفر (لچاني) أو خلي أيتها السيدة واستعدي للسفر فإنهم

في انتظارك.

چاني (خارجة):

أنى أصبك ما أمرت فقد غدا
أماه قد صح الذي نباتني
قلبي كمثل الثواب في أخلاقه
عما أراك الغيت من أخلاقه

المشهد السادس

ريشار - تومسون

ريشار: ماذا قال لك المركيز؟

تومسون: هو ينتظرك الليلة مع العروس وجميع العائلة في المنزل الذي ذكرته.

ريشار: فأسرع إذًا فإن چاني تنتظرك، خذها ومتى عدت من فرنسا وجدتني

لوردًا ووزيرًا (يخرج ريشار).

الفصل الرابع

تومسون (بنفسه): فاستعد يا تومسون لأن تكون سكرتير فخامة الوزير وتنال المال الكثير (تدخل چاني).

(تحسب ريشار في المسرح.)

چاني: أستودعك الله يا ريشار ... آه أين هو؟

تومسون: قد خرج، خرج.

چاني: ما كان ينقصني غير هذه.

ولا يلوي علي أحد	تولى لا يودعني
ولم أمدد إليه يدي	فلم أمتع به نظري
تذوب لحره كبدي	وأبقى خلفه كمدًا

تومسون:

هلم بنا فإن الوجد	د لم ينقص ولم يزد
وخير من حمى الإنس	ان عندي ملجأ الأسد

(ثم تخرج هي وتومسون للسفر، يدخل ريشار يتجسس خروجها.)

ريشار:

سيعقد لي يومي هناء مجددًا	وقد سار عني عاذل ورقيب
ويأتي غد للإنكليز بكابر	وإن غداً فيما يجي قريب

الفصل الخامس

المنظر الأول

المشهد الأول

(مبراي ... واقف على الطريق بين الأشجار.)

مبراي:

لقد أبعدوها ولم تجترم
لينعم من بعدها زوجها
أجاني إن الحجا آفة
وأين العدالة والعادلون
لقد ضقت ذرعًا بهذا المصا
وهاني المسيب ولكنني
وقد أغمض الله أجفانه
وها تلك مركبة علَّها
وقد قربوا يا إلهي فكن
وهبت لها عاصفات العذاب
بمجد وجاهٍ بغير حساب
ولو أن أهل الحجى في السحاب
فشيمة كل امرئ أن يحابي
ب فماذا أعد لهذا المصاب
أرى في فؤادي لشاط السباب
لكيلا يفر علي طلابي
بجاني أخذة في اقترابي
بفضلك عوني في كل ما بي

(هنا يسمع صوت مركبة في الخارج فيهجم مبراي عليها قبل ظهورها في المسرح ويمسك بالعنان ونصفه داخل الكواليس ونصفه في الخارج ظاهرًا للناس.)

مبراي: قف أيها السائق.

السائق: آه، ما هذا.

مبراي: لا تخف فلست من قطاع الطريق، ولكن أخبرني ما في مركبتك رجل وامرأة.

تومسون: ما لك وقفت أيها السائق؟

مبراي: هذا هو بعينه.

تومسون: عربجي، سر بسرعة البرق الخاطف.

مبراي: إنني أخطف روحك برصاصة واحدة إذا خطوط خطوة واحدة.

تومسون (يهجم على مبراي): ماذا تريد أيها الرجل؟

مبراي: اخسأ أيها اللئيم. چاني چاني، أنت هنا.

تومسون: لا تجيبي، لا تجيبي أيتها السيدة.

چاني: مبراي، مبراي.

مبراي: آه، هي، هي (تومسون يحول بينه وبين الكواليس ليمنعه من الدخول).

تومسون: ارجع يا هذا.

مبراي: إياك أن تمسني، چاني چاني هل تعلمين إلى أين يأخذونك يا چاني؟

چاني: نعم، إلى منزلي في البرية.

مبراي: كلا كلا وإنما هم يخطفونك إلى فرنسا.

تومسون: لعنة الله عليك.

چاني (تدخل): آه، الآن فهمت.

تومسون: ألا فتذهب يا هذا في سبيك.

مبراي: أيها السائق، باسم القانون أطلب منك أن تأخذني مع هذه السيدة إلى

منزلها، وإلا كنت شريكاً لهذا الشقي في جناية خطفها.

السائق: حاضر يا سيدي، تفضلوا (مشير إليهم بالرجوع للمركبة).

تومسون (ماسكاً چاني والسائق): إياك أن تغتر بكلام هذا الرجل وعليك أن

تأخذني مع السيدة وحدنا.

السائق: حاضر يا سيدي، تفضلوا، فإنني آخذ كل من يركب معي.

(يأخذ تومسون چاني فيتعلق بها مبراي).

الفصل الخامس

مبراي: ارجعي، ارجعي يا چاني فإنني أمرك بذلك باسم أبك وأمك.
تومسون (يهدد مبراي): إنني أسألك المرة الأخيرة أتركها أم لا.
مبراي: خسئت أيها اللئيم، وإياك أن تخطو خطوة.
تومسون: إذا لا بد من قتلك، خذها ولتكن ملعونًا.

(هنا يطلق تومسون الرصاص على مبراي فتصيح چاني بخوف وتهرب من جهة تومسون فرارًا من صوت الرصاص ولكن لا تكون بجانبه حين يطلق عليه مبراي الرصاص.)

مبراي (بهدهوء بينما يجرح): كانت يدك ترتجف فلم تصبني جيدًا أما يدي أنا فلا ترتجف، خذها ولتكن ملعونًا.

(يطلق مبراي الرصاص على تومسون فيصيبه في صدره فيسقط على الأرض.)

مبراي (للسائق): أيها السائق هذا مال بقدر ما تريد فسر بنا كالبرق إلى منزل السير ريشار في البرية وراء هذه الغابة.

(يخرج مبراي وچاني والسائق عائدين للمركبة فيتعلق تومسون القتل بثياب السائق وهو يتخبط من جراحه فيتخلص السائق منه شيئًا فشيئًا.)

تومسون (في حالة التراح): وأنا، وأنا، ألا ترى أنني أموت، آه ... آه يا قاتل يا شيطان تروح وتتركني تعال، تعال (يتمكن من الوقوف قليلاً) أغيثوني، ارحموني، آه يا ابن الشياطين ... آه ريشار، ريشار ... هل يحل بك ما حل بي؟ لاشك أن في العالم إلهًا لأنه انتقم مني.

(يسقط ويموت داخل الكواليس.)

المنظر الثاني

(في منزل ريشار في البرية. غرفة چاني وفيها البلكون والنافذة التي تقدم ذكرها.)

المشهد الأول

چاني - مبراي

چاني: هل جُرحت يا مبراي؟

مبراي: لا تخافي فجرحي خفيف فإن الرصاصة مست جلدي مسًا.

چاني: ولكن ما العمل يا رباه بعد الآن؟ فإنه لم يبقَ لدي ريب في أنه يرغب في خروجي من إنكلترا كلها، بل ربما كانت حياتي نفسها ثقيلة عليه.

مبراي: تعزي يا چاني، فقد بقيت لدي وسيلة لم أستعملها إلى الآن ولكني متى استعملتها سحقت بها كبرياءه سحَقًا، وما منعني من استعمالها إلى الآن غير فرط حبي له.

چاني: وما هي هذه الوسيلة؟

مبراي: هي كلمة واحدة أقولها له، ومتى قلتها أصبح ريشار تعيسًا إلى حد لا تذكر عنده تعاسة.

چاني: آه، فدع ذلك إذًا بحياتك، لأنني لا أريد أن يصبح تعيسًا وأفضل أن أتعذب وحدي.

مبراي: كلا يا چاني، فإنك لم تقفي على جميع مقاصد ريشار بعد فإنه كما قصر في واجباته نحوك قد أخذ يقصر في واجباته نحو وطنه. وإنني أخشى أن يكون لصنعه تأثير على مستقبل إنكلترا وحدها.

چاني: فاصنع إذًا ما تراه حسنًا.

مبراي: نعم، وإنني مسافر في هذا المساء إلى لندن لأقول له تلك الكلمة وسأعود به ذليلاً صاغراً فانتظريني يا بنية، أستودعك الله.

چاني: بسلام يا مبراي.

(يخرج مبراي.)

المشهد الثاني

چاني

چاني:

أندب حظي أو زماني الذي مضى
دهنتي صروف الدهر ما غادرت أخوا
عجبت وهل في الناس مثلي شقية
يريح الدجى هذي العناصر كلها
وما نفس الليل الذي مر باردًا
وما هو إلا الهم إن حل بامرئ
فما حرج أن اليتيمة تندب
ولا تركت أمًا ولا، ولم لي أب
على أن حالي لو درى الناس أعجب
وأسهر وحدي في الدجى أتعذب
علي كأنفاسي التي تتلهب
فسيان ما يأتي وما يتجنب

آه، ما أحلى هذه الطبيعة الهادئة تحت جناح هذا الظلام وكم قد وقفت من هذه النافذة أعد نجوم السماء. وأتأمل في العمق الذي تحتها، آه، عفواً يا أماه عما خطر أحياناً في بالي وأنا واقفة هنا، فإنني كم قلت إنني إذا ألقىت بنفسي من هذا العلو الشاهق مت واسترحت من عذابي. ترى متى يعود مبراي، وهل هو صادق في ما قاله عن السر أو أنه يقول ذلك ليعزيني ويسكنني (ترفع رأسها) ما هذا؟ إنني أرى مركبة على الطريق، قادمة إلى هذا المكان، ها لقد وقفت أمام باب المنزل لقد نزل منها رجل، وفتح باب الحديقة. إلهي، إلهي هذا ريشار فإن مفتاح الحديقة الثاني معه دون سواه، آه هو، هو أين أختبئ؟ ابتلعيني أيتها الأرض خذيني أيتها السماء. ها لقد صعد السلم، ها أختبئ هنا.

(تختبئ في غرفة وتكون قبعتها على الطاولة أو على مقعد في المسرح.)

المشهد الثالث

ريشار - خادم وراه

ريشار: أف، لم أتقدم المركز وأسرتة إلا بنصف ساعة. أوقد يا جامس نوراً وهيئ الشموع، وقف على الباب لاستقبالهم (ينظر في ساعة) صارت الآن الساعة الثامنة فلا شك أن تومسون وصل بها إلى دوفر ... وغداً يصل إلى كاله. أف، لقد استرحت منها ومن دموعها، ونلت السعادة بهذا الزواج العظيم. لا شك أن تومسون يستحق أحسن جزاء على صدق خدمته لي فمتى عاد من سفره أحسنت جزاءه، ولكن يجب أن أفتش في هذه القاعة التي كانت تقيم فيها لعلها تركت فيها أثراً فيراه ضيوفنا (يفتش) ها هذه قبعة وغطاء، لقد أحسنت في التفتيش فإنه لا يجب أن يروا عندي شيئاً من آثار امرأة، ولكن أين أضعها؟ هذه الخزانة مقفلة، ألقها من النافذة (يهم بإلقائها) لا، فإنهم يجدونها غداً في الحديقة، إذاً ماذا أصنع بها؟ ها قد ظهرت أنوارهم على الجبل، أين أضع هذه القبعة الملعونة؟ أضعها في هذه الغرفة.

(يفتح الغرفة التي دخلت إليها چاني فتصرخ چاني حين فتح الباب.)

چاني: أه.

ريشار (يقبض على ذراعها داخل الكواليس ويجرها إلى المسرح): من هذا.

چاني: أنا أنا، أستحلفك بالله أن لا تؤذيني.

ريشار: أنت هنا، أنت هنا، أي شيطان يردك إلي كلما حسبت أنني تخلصت منك؟ من أعادك إلى هنا؟ تكلمي تكلمي.

چاني: مبراي، مبراي.

ريشار: مبراي! دائماً مبراي، أين هو لأصب غضبي على رأس رجل لا على رأس امرأة.

چاني: قد سار إلى لندن فعفواً عنه وعني.

ريشار (يغضب): وماذا جرى؟

الفصل الخامس

چاني: لقد أوقف المركبة (بخوف وحدة).
ريشار: وبعد، وبعد، قولي فقد كاد ينشق صدري.
چاني: وبعد ذلك تبارزا.
ريشار: والنتيجة.
چاني: مبراي قتل تومسون.
ريشار: ويل له.
چاني: عفواً عفواً.
ريشار: چاني، چاني اسمعي.
چاني: ها، ها، صوت مركبة.
ريشار: نعم وهي قادمة بزوجتي وأسرتها.
چاني (بغضب عظيم): زوجتك! وأنا من أنا إداً.
ريشار: أنت. أنت ملاكي الشرير، أنت الهاوية التي ستبتلع كل آمالي، أنت الشيطان الذي يدفعني إلى ارتكاب جناية.
چاني: آه يا إلهي.
ريشار: وليس الذنب ذنبي بل ذنبك لأنني سألتك الرضا بالطلاق فأبيت، سألتك السفر من إنكلترا فلم تسافري.
چاني: الآن الآن أرضي أرضي بكل ما تريد.
ريشار: الآن قد فات الوقت.
چاني (بحيرة وخوف): فماذا تصنع إداً؟
ريشار: لا أعلم وإنما صلي.
چاني (بهول وذعر): ريشار، ريشار ماذا تقول؟
(يسمع صوت أقدام من الخارج فيضع ريشار يده على فمها.)
ريشار: اسكتي، ألا تسمعين صوت أقدامهم؟ آه، إنهم سيدخلون ويجدون امرأة عندي فماذا أقول لهم؟ (يذهب ويقفل الباب، تذهب چاني إلى النافذة أو البلكون وتنادي).

چاني: المعونة المعونة، إلي، إلي.

ريشار: اسمعي، يجب حين دخولهم أن لا يجدوك في هذا المكان.

چاني (تجثو على ركبتيها): ارحمني، ارحمني.

ريشار: رحمتك كثير فلم تنفع رحمتي.

چاني (محاولة الاستغاثة): المعونة ... المعو ... (فيسد ريشار فمها بيده ثم يحملها

بين ذراعيه وهو ساداً فمها ويسير بها نحو البلكون فتغافله چاني وتفلت رأسها منه

وتصيح) المعونة ... المعو ... (فيعود ريشار ويتمكن من سد فمها وهي بين ذراعيه ثم

يقدمها من النافذة ثم يعود وهو أصفر اللون).

ريشار: أف، أف (يذهب ويفتح الباب).

المشهد الرابع

ريشار - المركيز سيلفا - المس ويلمور العروس - اللادي - ويلموري وهي

كارولين - وزير المالية - بعض المعارف والأصدقاء.

المركيز: عفوًا إذا كنا أزعجناك أيها السير ريشار فإن بابك كان مقفلًا.

ريشار: أهلاً وسهلاً، لا، لم أقفل الباب علي ... وإنما لا أعلم كيف كان المفتاح في

الداخل.

المركيز (مقدمًا له العروس): المس ويلمور (ينحني ريشار لها) هل أنت متألم يا

سير ريشار، فإنني أراك أصفر اللون.

ريشار: أنا أصفر؟ هذا أمر عرضي. تفضلوا واجلسوا فكل شيء معد لكم.

المركيز: قد تفضل سعادة الوزير، ورضي بأن يكون شاهدًا للعروس فهل لديك

شاهدك؟

ريشار: لسنا في حاجة إلى شهود، فلنوقع على صك الزواج.

(يخرج المركيز الصك ويعطي قلمًا إلى المس ويلمور فتوقع عليه ثم يأخذه

منها ويدفعه إلى ريشار فيأخذ ريشار القلم ليوقع عليه.)

الفصل الخامس

المركيز: ما ليديك ترتجف يا سير ريشار؟
ريشار: يدي ترتجف؟ لا ولكنك أنت ترى ذلك.

(يهم السير ريشار بالتوقيع فيأخذ الورقة ويلتفت إلى جهة المائدة التي سيكتب عليها فيرى مبراي واقفاً في الباب شاخصاً إليه.)

المشهد الخامس

المذكورون - مبراي

مبراي (بهيئة رسمية وهو يرتجف): ينقصك شاهد للزواج يا ريشار فما أنا ذا.
ريشار: سواء لدي أنت أم رجل سواك (بصوت منخفض) إياك أن تلفظ كلمة.
المركيز: ماذا يريد هذا الرجل؟
مبراي (بصوت منخفض): لا تهدد بل اترك التهديد لي.
ريشار: وماذا تريد يا رجل؟
مبراي: اخفض صوتك.
ريشار (بصوت عالٍ): بأي حق تطلب هذا؟
مبراي: انظر إلى البلكون.
ريشار (بصوت منخفض): اخفض صوتك.
مبراي: يا قاتل، لقد شاهدت ما صنعت بها.
ريشار: وبعد؟
مبراي: أنت تعلم ماذا أقدر أن أصنع بكلمة واحدة.
ريشار: ولكنك لا تقولها.
مبراي: ولماذا؟
ريشار: لأنه لو لم يكن هناك مانع يمنعك لقلتها.
مبراي: ريشار لا أسكت عنها إلا على شرط واحد.

ريشار: وما هو؟

مبراي: أن تعدل عن هذا الزواج، وتستعفي من مجلس العموم ثم تهجر لندن وتذهب معي إلى مكان منفرد؛ أنت لتندم وأنا لأبكي.

ريشار: مبراي قلت لك إنه يوجد مانع سري يمنعك من كشف أمري إذ لولاه لما كنت أشرت كشفه إلى الآن. ولذلك فأنا لا أخاف.

مبراي: أترفض إذا ما اقترحتة عليك؟

ريشار: أرفض.

مبراي: رفضاً قطعياً.

(هنا يوقع ريشار على الصك ويناولهُ إلى المركيز.)

ريشار: وقع يا سيدي المركيز.

مبراي (قابضاً على ذراع ريشار قبل أن يدفع الصك إلى المركيز): قف وعد إلى رشدك وإلا ندمت حين لا يجدي الندم.

ريشار (للمركيز): وقع يا سيدي (يدفع الصك إليه).

مبراي (بصوت عالٍ): مركيز ديسيلفا، مركيز ديسيلفا.

المركيز: ما تريد؟

مبراي: أتذكر قرية دار لنكتون؟

المركيز: ماذا تقول؟

مبراي: أتذكر تلك الليلة التي وصلت فيها إلى هذه القرية وأنت تفتش على فتاة مخطوفة؟

المركيز: الزم الصمت يا سيدي.

مبراي: لا تخف فإنني لا أذكر اسمها لأنني أحترمها. أتذكر أنها وضعت في تلك القرية غلاماً؟

المركيز: وبعد؟

مبراي: إنك لم تشاهد أباً ذلك الولد أيها المركيز إلا برهة يسيرة ولكن ذلك كان كافٍ لأن تعرفه ... انظر إلي.

المركيز: أنت هو؟

مبراي: نعم أنا هو.

المركيز: فأنت إذاً...؟

مبراي: الجلاذ (مشيراً إلى ريشار) وهذا ابني (هنا تصرخ اللادي ويلمور يغمى عليها).

ريشار (بهياج عظيم): أنت أبي؟ وكيف تثبت ذلك بل أي فخر لي بأن تكون أبي، وهل من دلائل الأبوة أن تقف كل يوم في وجهي لمعاكسة أعمالي وتخيب آمالي؟ كلا أنا لا أعرفك يا رجل، ولا أريد أن أعرفك.

مبراي: كان لي عليك أيها الشاب حق الاحترام لشعري الأبيض فقط أما الآن فصار لي عليك حق الأبوة أيضاً فاخفض من كبريائك يا ريشار دار لنكتون الطامع المتكبر واحترم حقي الطبيعي.

ريشار (بغضب شديد): ولكن إذا كنت أبي فأين أمي أين تلك المرأة الملعونة التي هجرتني منذ ولادتي (تهجم اللادي ويلمور وتجتو أمام ريشار).

اللادي: ريشار لا تلعني.

المس ويلمور (وهي العروس): ريشار أخي؟! (اضطراب عظيم في المسرح).

مبراي: نعم هذه أمك، وهي أختك التي كادت تكون زوجتك (متلفتاً إلى الكواليس) وهذه زوجتك الحقيقية.

(يدخل رجلان أو ثلاثة حاملين چاني وهي ملفوفة في غطاء أبيض والدم يقطر منها ويدها ورأسها متدلّية تدلي الإغماء.)

أحد الحاضرين: زوجته؟

غيره: هل كان متزوجاً؟

چاني (في سكرات الموت): آه، إنني أموت.

ريشار: چاني، چاني، أحي فأيني أحبك.

چاني (تفتح عينها وتحاول الجلوس فلم تقدر): ريشار، هذا أنت؟ أتحنبي، وزوجتك الجديدة؟

ريشار: هذه أختي لا زوجتي.

چاني: كيف؟

ريشار: أختي، أختي وليس لي من زوجة غيرك.

چاني: آه، هنيئاً لك وجدت أهلك، أما أنا فأني ذاهبة إلى أهلي. آه يا أمي.

ريشار: چاني، هل تغفرين لي؟

چاني: آه قل لي أولاً، أصحيح أنك صرت تحبني.

ريشار: بدون شك.

چاني: إذاً أموت مستريحة راضية، غفر الله لك يا حبيبي (تضطرب وتموت).

أحد الحاضرين: هكذا فليكن حب الزوجين وطاعة النساء.

الوزير: ألنا عينٌ خفية تسهر على حرية الشعب.

رجل فصيح اللسان: ولكن قد تسقط في هذا السبيل (مشيراً إلى جثة چاني)

ضحايا تتصدع لها القلوب.